فينوس و ميم المذكر

يتم تخصيص 5% من جميع إصدارات دار ضاد لصالح مستشفى سرطان الأطفال 57357 و مركز مجدي يعقوب للقلب .

فينوس و ميم المذكر

هبة فاروق

تصميم الغلاف: احمد شوقي
المراجعة اللغوية: سامح سكرمة

الطبعة الأولى 2016
تصنيف الكتاب: قصص
رقم الإيداع : 2016/13123
ISBN 978- 977- 6544- 59- 8

دار ضـــــاد ©

جمهورية مصر العربية
القاهرة – 6 أكتوبر
سوهاج – طهطا
01120801780
info@daadpub.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر
وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية
يعرض صاحبه للمساءلة القانونية

هبة فاروق

فينوس وميم المذكر

قصص

دارضَـــــــــادّ©

إهداء

إليْكَ إنْ وجدْتَ نفْسَكَ بيْنَ السُّطور.

شكر خاص إلى هؤلاء الكتاب الرائعين

الذين ساعدوا فينوس لتخرج من خبائها..

أحمد شوقى

إيمان السباعى

سامح بسيونى

سامح سكرمة

وشكر خاص للكاتب الكبير: منير عتيبة

(1)

صِرَاع

تلاشت الأبخرةُ الغازيَّة مع آخر المارقين أمامي، اختبأت صديقتي في البيت المجاور، أغلقوا الباب خلفها، حاولتُ اللحاق بها؛ لكنني لم أستطع، شُلَّت قدمي..

دموع تهبط من عينيّ لا تتوقف.

- "كفاكِ بكاءً"؛ قالها الضابط من خلف قناعه الأسود، ثمَّ أردف:

– لن أؤذيكِ، هيا ارحلي.

قلت متلعثمة: لا أبكي، إنَّه التهاب القناة الدمعية.

لم أكن أكذب، فلا حزن في صدري ولا خوف، فقط كنت أتمنى أن أرى وجهه قبل المغادرة، فعيناه جذابتان برغم القناع المخيف.

***

تلاشت الأبخرةُ الغازيَّة مع آخر المارقين أمامي، اختفت صديقتي، ربَّما اختبأت في بيت آخر، أو ربَّما.. لا أعلم، أتمنَّى أن تكون بخير. طال مكوثي خلف الباب المغلق، أسمع الأصوات البعيدة، لا صبرلدي على الانتظار.

صعدت إلى سطح البيت، الأشياء من الأسفل صغيرة جدًّا، عربات الشرطة، أشخاص يجرون في كلِّ اتجاه، وبقايا الأبخرة تتصاعد إلى السماء، تتلاقى ذراتها المتشتتة، تكون طيورًا رمادية؛ أتنفَّس رمادًا أسود يؤلم عينيّ لكنّي لا أغمضهما لأظلَّ أراقب تبخُّرَ الطيور في السماء، وإعادة تكوّنها مرَّاتٍ عدَّة.

ربيع واحد وألف خريف

تفصد عرقًا، مسح جبهته بيده، السيجارة الخامسة احترقت بين أصابعه دون أن يرتشف منها نفسًا واحدًا، أخيرًا جاء السمسار بعد أن تجاوزت الساعة السابعة مساءً، وقد انتظره قرابة الثلاث ساعات!

- خير يا أستاذ ربيع في حاجة؟!
- عايز أبيع الشقة.

فتح الرجل فمه متعجبًا، ابتلع دهشته، وقال:

- أي شقة؟!
- الشقة اللي كتبنا عقدها امبارح .
- .....
- .....، كاد يقول شيئًا؛ لكنه تراجع.
- خير؟
- مش عجباني.
- بس أنت شفتها من مدة، وكنت بتروح وتيجي على المقاول وهو بيشطبها، وكمان أنت كده تخسر فيها!
- مش مهم الفلوس.

توقف عند جملته الأخيرة وهو يعيد حواره مع السمسار في رأسه؛ ردد:

- مش مهم الفلوس.

كاذب، أربعين سنة تحملهم على أكتافك، قضيت منها عشرين سنة وأنت تضع قرشًا فوق آخر، تسافر في بلاد الله تعمل أي عمل من أجل ثمن الشقة، فلم يكن لك حلم إلا امتلاك شقة.

تذكر يوم اشترى الشقة، كاد يطير فرحًا، قبل حوائطها حائطًا حائطًا، افترش أرضها الفارغة وقرر ألا يتركها دقيقة؛ فقد ضاع العمر من أجلها، ثمَّ ضاعت العروس التي رشحها له الأصدقاء من أجلها أيضًا..

يجلس على أرض الشقة والحوائط تنهار من حوله، تسقط كأوراق الشجر اليابسة، حاول أن يمسكها حتى لا تسقط، تفادى كتل الأحجار المنهمرة، هرب وهو يصرخ، تجمع حوله أهل الحي وهو يولول ويلطم.

لم يفهموا منه شيئًا، صعدوا إلى الشقة ليروا الكارثة التي أشار إليها، فما وجدوا شيئًا، الحوائط مكانها، والأرض الخالية من البسط كما هي، لم يتداعَ أي شيء كما أخبرهم، ضحكوا منه، واستهزأوا به، ظلَّ ينقل عينيه بينهم غير مصدق، جرى صاعدًا إلى الشقة، فرأى كلَّ شيء فيها كما كان حين اشتراها.

- إستعيذ بالله من الشيطان يا أستاذ ربيع.
- لا حول ولا قوة إلا بالله.
- إستهدى بالله يا بني.

سمع كلمات كثيرة، استعاذ بداخله من شيطان لا يعرفه، ودخل الشقة وأغلق بابها دونهم، ومرة أخرى تداعت الحوائط، وسقط السقف على رأسه..

اختل توازنه وسقط على الأرض، أفاق ليجد جسده مبتلاً بمنيه، لا يتذكر نساء أحلامه، توقف عن رؤية النساء في نومه منذ أمد بعيد، لا يرى إلا خيالات مبهمة؛ حتى بلله هذا لا يستطيعه مستيقظًا، لا يخرج ماؤه إلا وهو نائم دونما أية متعة.

ظلّ على حاله هذه سنوات وهو يمنّي نفسه بالشقة والعروس وراحة البال، ولكن هذه ثالث شقة يبيعها ويشترى شقة أصغر منها في حي آخر خاسرًا جزءًا من ثمنها، وفي كل مرة تتداعى الحوائط وتنهار على رأسه.

- وماذا بعد يا ربيع؟ تُبنى آلاف الحوائط وتُهدم وأنت وسط كل هذا تنتظر.

حدَّث نفسه وهو يسير في الشوارع المحيطة بالعمارة التي بها آخر شقة اشتراها، ظلَّ يدور حول العمارة، يصل إلى بابها ويقف حائرًا كلما همَّ بالصعود دفعته أفكاره للابتعاد حتى أصابه الإعياء.

وبعد كل محاولاته الفاشلة للبقاء في أي شقة؛ قرر أن يبني حائطًا أمام حائط الشقة الداخلي، ظل يبنى حائطه، فيأتي المساء ليهدمه، فيعود في النهار ليبنيه.

كم قميص ضيق

تحمل أطنانًا من اللحم – تتزاحم داخل ملابسها الضيقة – مما يجعل الوقوف في زحمة الحافلة معاناة شديدة. توقف "الأتوبيس"، صعد البعض وهبط البعض، شعرتَ بجسد يلتصق بها، تنهدت، شعرت بيده تذهب وتجيء على ظهرها، ابتسمت، اقترب أكثر، شعرت بأنفاسه الساخنة تلفح رقبتها، تسمع صوت تنفُّسِه العميق، يعلو ويعلو..

الجميع يسمعه؛ إنه غطيط نومه، التقت عيناها المذهولة بأعين الركاب، صرخت، دفعت رأسه من فوق كتفها، التفتت إليه بجسدها الضخم وهي تشمِّر أكمامها، وتستعد لتنبش بأظافرها الحمراء رقبته.

***

صعد إلى الحافلة المزدحمة بالبشر، همس قائلاً: مثل كل يوم، نظر في الفتحة الضيقة بين الكراسي، لقد ازدادت ضيقًا بكلِّ هؤلاء البشر، أراد أن يعبر فهو يسدُّ باب الصعود بكرشه الضخم، حاول أن يشفط من جسده، اصطدم بالناس حتى وجد مكانًا شبه فارغ، وقف خلف امرأة ضخمة؛ ما كان ليتخطاها دون أن يلتصق بها.

وقف "الأتوبيس" فجأة، فاصطدم بذراعها – كان كوسادة ناعمة في قميصها الحريري – أغمض عينيه، واقترب منها، نعم بلحظات من النوم الهادئ.

حلم بوسادة ناعمة أسفل رأسه، وامرأة جميلة تطعمه في فمه، وهواء المكيف يُطيِّر شعرها الناعم فيلمس وجنته.

استيقظ على يد تهبط على رأسه بحقيبة نسائية ضخمة، وسيل من الشتائم من القاصي والداني.

***

أصابه السأم، يجلس على قدم أمه منذ ساعة، "الأتوبيس" بطيء جدًا، كلُّ السيارات التي تعبر الطريق تتخطاه، وتختفي، عد أربعين سيَّارة حتى الآن.

يتلوى في جلسته، أراد أن يقف، نهرته أمه: اقعد يا أحمد الدنيا زحمة.

استدار ليواجه الركاب، وهو قاطب جبينه، يكاد يبكي من الملل.

أمامه يقف رجل ضخم له كرش كبير لا يرى إلا جانب وجهه وكرشه، وأمام الرجل امرأة سمينة يلتصق ذراعه وكرشه بذراعها وظهرها، ويضع وجهه الضخم على كتفها مستغرقًا في النوم..

تركته المرأة ينام في سلام، رأى أحمد عروسة فرو خضراء من عرائس المابيت شو تخرج من قميص الرجل، وأخرى بنفسجية تخرج من قميص المرأة، أخذا يغنيان في طرب ويرقصان في بهجة، حتى قبلها قبلة بصوت مرتفع.

التفتت المرأة على صوت شخير الرجل العالي، صرخت فيه، اختبأت العرائس بين المقاعد، تعالى صراخهما وأصوات الناس، صعدت العرائس من أسفل الكراسي واشتبكوا في عراك عنيف مضحك.

أنا وعين الكلمة

صغيرة أنا في حجم عقلة الأصبع، استيقظت بعد نوم عشر سنين لأجد أمامي حوائط بيضاء منقوشة برسوم سوداء صغيرة، مددت يدي حركتها في الهواء ليتحرك جسدي المتيبس فاصطدمت قدمي بنقوش سوداء أخرى، تحركت، تبعثرت؛ إنها كلمات شتَّى، تفرقت حولي ملأت سماء بيضاء غائمة، رقصت فرقصت معها، أنا في كتاب كبير ليس فيه إلا سطر واحد ما زال في مكانه:

(أظهر لي الألم الموجود في الجرح، أظهر لك الرب الموجود في الكون)[1]

وقفت "الكون" نادتني: تعالي تسلقيني، هيّا اصعدي.

تسلَّقت الكلمات من أول الجملة، أخذني "الجرح"، رقص معي، ضربتني حاؤه بطرفها الحاد، فحملني الهواء متخطِّية الكلمات إلى "الكون"، لم يمهلني، تحرَّك بي سريعًا، طار بي حتى أول الصفحة، هناك حيث الفراغ، ورقم صغير معلق على اليمين، ألقاني عنده ورحل، تسلَّقت الرقم، لم يتضح لي من الغيوم.

أنا فوق حافة الكتاب الآن. سمعت الصوت الذي يهمس لي دائمًا: اقفزي، اقفزي، صرخت الكلمات مذعورة: ستمـــوتين.

انغلق الكتاب وسقطت.

---

[1] قول للإمام أبي حنيفة.

شهقت، فتحت عينيها – الحمد لله كان حلمًا – تلاحقت ضربات قلبها، قالت: كل ليلة نفس الخفقان، ونفس الشهقة التي تنقذني من الموت.

***

القطار والزحام - المشهد اليومي المعتاد - انحشرت وسط الناس وهي تحتضن حقيبتها، وقفت بجوار باب القطار المفتوح.

سمعت:

- هيَّا اقذفيها، اقذفيها بسرعة.

احتضنت حقيبتها بقوة، تخيَّلت محتوياتها تتناثر، ولا تلاحقها عيناها من سرعة القطار هربت بسرعة من جوار الباب المفتوح ، وانحشرت وسط الزحام.

في الطريق المعهود إلى عملها، تصعد كوبري المشاة؛ لتهبط من الجانب الآخر، كثيرون حولها.

سمعت:

- ستقعين الآن، الآن، هيَّا اقفزي.

تشبَّثت بالدرابزين بقوة، كادت قدمها تنفلت، ببطء نزلت درجات السلم الطويل، عند الدرجة الأخيرة تشبَّثت بحقيبتها وجرت مسرعة.

وصلت المكتب وهي تلهث، لم يعيرها أحد اهتمام "فهذا لهاث يومي اعتادوا سماعه"، في رحلة العودة قررت أن تذهب إلى الطبيب، هذه المرة لن تتراجع فما عادت تحتمل اللهاث.

***

استلقت على شيزلونج أحمر من القطيفة الناعمة، استمتعت بملمسها الدافئ، أغمضت عينيها، استسلمت لموسيقى رقيقة تنبعث من الجدران، لعلها في الجنَّة، جنَّة برائحة الريحان.

سمعت:

- أين قرأتِ هذا الوصف؟

قال الطبيب بصوت هادئ: هيَّا يا عزيزتي، احكي لي كل ما يؤرقك.

فكرت، أتبدأ بالحلم؟ همت بذلك..

سمعت:

- لا تحكي، لا تحكي شيئًا.

تراجعت، صمتت، ثمَّ فتحت عينيها وقالت صارخة: لا سأقول، سأقول، إنها تراودني، تخرج من نعوشها البيضاء لتسكن جسدي، متسللةً داخلي، محيطة بخارجي، تعزلني عن الناس، ترتديني، تعشش في عقلي فلا أسمع غير صداها يتردد في نفسي.

قال: أهدئي، من تقصدين؟

اقتربت بوجهها منه، وقالت هامسة: هي، الكلمات تعاديني، تريد قتلي..

صمتت، جحظت عيناها، لم تسمع ما قاله، علت الأصوات في أذنها، كلمات متفرقة، متداخلة، لم تسمع من بعدها جملة واحدة تفهمها..

سمعت:

- صمت، عدل، شيطان، لا، ربّ، شرّ، أحد، خير، رحمة، موت، صوت..

صرخت وصرخت حتى فقدت صوتها، ضربت رأسها بيديها.

سمعت من بين الضحك: ألم أحذِّرك؟

***

هناك على سرير أبيض في غرفة واسعة حوائطها بيضاء ليس فيها غير فتحتين، باب مغلق ونافذة مستديرة في أعلى الحائط، عليها حديد متشابك عليه صدأ سنين طويلة جلست وبيدها كتاب مكتوب فيه سطرواحد:

(ليس شيء سوى الموت أنفع)2.

سمعتها تقول: ألم أقل لكِ لا تذهبي للطبيب، هيَّا اتبعيني الآن، اقفزي معي لنتحرر من هذا المكان.

تلاشت الكلمات المتبقية من الكتاب، وجدوها ملقاة على الأرض بجوار السرير.

قالت الممرضة : المسكينة سقطت من فوق السرير، فاصطدمت رأسها بالأرض.

لم يشعر أحد باختفائها من هذا الكون مثل النقطة إذا محيت من ورقة بيضاء، وبعد سنين سكنت غرفتها امرأة أخرى تهوى تسلّق الكلمات.

2 الشطر الثاني من بيت شعر للأصمعي.

جسد

الشمس تميل للمغيب، تسلل الهواء البارد إلى رئتيه، أصوات المساء تعلو في أذنيه، صفير صرصور الزرع، نقيق الضفادع، ونعيق الغربان، صوت تلاحق الأمواج، وهسهسات الريح الخريفية، وتكسر الأوراق الذابلة تحت قدميه. داهمه الليل الخريفي وهو يسرع داخل المنتزه للحاق بورديته المسائية.

يكره هذا الوقت من العام، العمل قليل، لا يزور المنتزه إلا قلَّة من المحبين خاصة في مثل تلك الليلة الباردة.

ارتدى زي العمل، جلس خلف الطاولة المرتفعة، نظر خلفه، الخمور متراصة في أماكنها، الأكواب تلمع تحت مصابيح النيون المضاءة. المكان خاوٍ، ليس هناك إلا طاولة واحدة يجلس إليها رجل يدخِّن سيجارة فاخرة، وأمامه عشرات من أعقاب السجائر والزجاجات الفارغة.

نظر ناحية البحر المواجه للحانة الصغيرة، الموج مرتفع، الحديقة أمامه تميل خضرتها إلى اللون الأسود، وقعت عيناه عليها؛ امرأة تجلس وحيدة على الكرسي الخشبي المواجه للبحر، شعرها الذهبي يتطاير مع الهواء فيظهر جانب من وجهها أبيض ناصعًا.

تمنَّى أن يمرر يده على شعرها، يدفئ أنامله الباردة على جسدها، شعر بنشوة، تخيلها، اعتصرها بين يديه، أقشعر جسده. نظر في كل اتجاه، لن يشعر به أحد إذا ذهب إليها، ولبَّى نداء جسده.

وقف خلفها ببضع خطوات، تردد قليلاً، رفعت يدها تلاعب خصلات شعرها، لمع خاتمها الذهبي في عينيه لم يحتمل، قفز أمامها، صرخ صرخة عظيمة ارتجف لها جسده، سقط وهو يتراجع إلى الخلف، اتجهت إليه بوجهها القبيح، وأسنانها السوداء، وعيونها النارية.

بكى، ارتعشت أجزاؤه، بلل العرق الغزير جسده، تقطعت أعضاؤه بين يديها، حتى لسانه مُزِّق بين أسنانها.

حجب

(لملمت ثوبها الممزَّق وهي تبكي، تملك دموعًا، تفاجأت بها، كانت نسيتها منذ زمن بعيد، أحكمت غطاء رأسها ووجهها، لا أحد يرى وجهها الآن).

***

أين زرقة السماء؟ إنها هناك مختبئة خلف السحب الكثيفة، التي يحاول نور الشمس أن يتخللها، فلا تبقى من محاولته البائسة إلا أشعة باهتة تكسب الأرض وحشة فوق وحشتها، تلك الأرض المختبئة خلف طبقات هائلة من العوادم وسحب التلوث.

تبدأ يومها نحو الثالثة عصرًا، وقت مبكر لمثل مهنتها، تمشي رويدًا على الرصيف المواجه للفندق، ملَّت من الانتظار، عبرت الشارع، جلست على سور الكورنيش، مددت أقدامها، وأخذت تتابع الناس، الجميع يرتدون نظارات شمسية بالرغم من عدم قساوة الشمس في هذا اليوم الشتوي؛ ربَّما يحتجبون، لماذا إذاً يلومونها على زيها؟! وهي أكثر مَن في الأرض رغبة في الاختباء.

جاء الليل، تسير أمام الفندق غير مهتمة بنظرات رجال أمن الفندق، تبتعد قليلاً، تتابع الرجال والنساء المتراصين على المقاهي المجاورة، الأدخنة تحجب وجوههم.

وقف أمامها بسيَّارته، تبادلا كلمات قليلة، أراد رؤية وجهها، لم توافق، فهو من النوع الذي يماطل، لم يتفقا على مبلغ يرضيها، ظلت أصوات أبواق السيَّارات تحذر محدثها من طول التوقف، سار بعد أن رفضت الركوب معه.

مرقت بجوارها سيَّارة لامرأة كادت تجنُّ من الانتظار، بصقت في وجهها، لكنَّها لم تهتم ظلت واقفة تتابع السيارات.

وقفت أمامها سيَّارة فارهة، أطلَّ منها رجل أنيق في العقد الخامس من العمر، أطال النظر في عينيها، كانتا مكحلتين بلون أزرق، ولهما أهداب سوداء كثيفة. أمرها بالركوب، أطاعته دون تفكير، لم يتكلما كثيرًا، سار بسيارته حتى وصل إلى منطقة في أطراف المدينة، أوقف السيَّارة، تصورت أنَّه سيذهب بها إلى بيته، أخبرها أنه يفضل الأماكن المفتوحة.

نزع عنها غطاء وجهها، ابتسم، بدأ يجرِّدها من ثيابها، حاولت أن تنزع ملابسه لكنَّه أبى، أصبحت عارية تمامًا، نظر إلى جسدها العاري وضحك..

(فجأة فتح باب السيارة، وألقاها إلى الطريق، بصق على جسدها، سبَّها، قال إنّها حشرة حقيرة رخيصة الجسد، وإنّه لا يطيق أن يلمس جسدها الملوث.

خرج من السيَّارة، أخذ يضربها بحزام بنطاله، ويدفعها على الأرض بقدمه، صرخت، حاولت الهروب، اقترب منها، أخذ رأسها بين يديه، ربط الحزام حول عنقها، كاد يخنقها، ضحك حين رأى نظرة الرعب في عينيها. تركها قبل أن تفيض روحها، لعنها، مزَّق ملابسها، ثم تركها في ظلام الليل وغادر).

تنفست حين رفع جسده من فوقها، ظلَّت مشدوهة لحظات حتى تلاشت الصورة المرعبة من أمام عينيها.

ما زالت داخل السيَّارة، ارتدى ملابسه، ألقى لها ببضع جنيهات على جسدها، اعتدلت، أعطاها سيجارة، أخذتها، نفخت دخانها وهي تقسم لنفسها: لو تكررت هذه المشاهد مرة أخرى ستترك هذه المهنة إلى الأبد.

عينان وشفتان

اليوم شتوي معتدل، السماء زرقاء تميل للون الرمادي، الشمس باهتة الصفرة.

- السماء قريبة، لو أن يدي تتحرك للمستها؛ قالها لنفسه.

لم ير السماء منذ زمن ليس بقليل، لا يخرجونه في أيام القيظ ولا أيام المطر.

- اليوم رائع للنزهة؛ قالت الممرضة.

ابتسم لها ولم يجب، تركته وذهبت بعد أن اطمأنت لوضعه، أغمض عينيه، غلبه النوم؛ ينام كثيرًا ربَّما بفعل المهدئات.

استيقظ على صوت الطيور، راوده هاجس ماذا سيفعل إن بال أحد الطيور عليه؟! كيف سيمسح وجهه؟ لو أن يده تتحرك..

لمحه، إنَّه يسير على قدمه، اقترب من بطنه، لم يشعر به، صرصور كبير، غامق اللون، شواربه طويلة، إنَّه مقزز. نادى الممرضة، لم تجبه؛ ربَّما احتبس صوته، تيبس مثل أطرافه، تلاحقت أنفاسه، بلل العرق جبينه، هل يصرخ؟ راودته الفكرة؛ لكنَّه لم يستطع، إنَّه يكره الحشرات، يخشاها منذ الصغر.

اقترب الصرصور من صدره، صدرت منه آهات متقطِّعة، وجهه يرتعش، كيف يصرخ؟ امتلأ بالخجل، بكى بغزارة، صدرت منه نهنهات قصيرة. قفز الصرصور على الأرض، اختفى وسط النجيلة حين حركت المرضة كرسيه المتحرك قائلة: أعتقد أنك استمتعت بالهواء.

حاول أن يبتسم!

حفارو الليل

هم عشرة، بل عشرون، صاروا أكثر، امتلأ القبر بهم، تلاشت صورة الأحياء فيهم، الكل هنا يرتدي اللون الأبيض، يعرفهم جيدًا، كل مساء يحفرون في جدران المقابر، ربَّما يخرجون يومًا بملابسهم الخفيفة البيضاء.

حاول أن يخبر أباه، اقترب منه، فاصطدم بوجهه دخان نرجيلته الكثيف، حاول أن يتكلَّم، يفتح فمه، لكن حلقه جفَّ، اختفى لسانه من نظرة أبيه القاسية.

هرب من أمامه وهو يرتجف، يهابه حد الارتعاش.

حكى لأمه ما رأى، نظرت إليه بأهداب سوداء تقطر قسوة، وقالت وهي تعاجله بضربة شديدة على وجهه:

- ابن التربي جبان، يا عيب الشوم.

***

اختبأ وراء أحد القبور، لم يستطع الصراخ ، ظل يرتجف، ويهذي، لم يخبر أحدًا بما رآه.

في الصباح جاء الرجال يحملون جثَّة على أعناقهم، وجدوا أخاه ملقى، مكسور العنق داخل القبر المفتوح، صرخت أمه، شقَّت جلبابها، أهالت على رأسها التراب. ازدادت قسوتها معه بعد موت أخيه الأكبر، كان يكبره بعامين، وله عشرة أعوام فقط.

جاء به أبوه، أمسكه من عنقه، عنَّفه، هزَّه بيديه الغليظتين كي يخبره بما رأى، لم يتكلم، ظلَّ يبكي، ويلهث، ويزبد، لم ينطق حرفًا من يومها. لقد رأى الأمر كاملاً، رأى فتى جسده قويّ، وعيناه مطموستان يضرب أخاه بعنف

حتّى سالت الدماء من وجهه، حاول أن يهرب منه، لكنَّه دفعه بقدمه القويَّة، فسقط داخل القبر المفتوح.

***

مرَّت أيام وأعوام كثيرة وهو يراقبهم، ما زالوا يحفرون جدران المقابر، كلّ ليلة يستيقظون يسمع "خربشات" أياديهم وهم يحفرون، إنهم يملُّون قبورهم المظلمة، وحدتهم داخل جدرانها الرطبة، فلا يرهقهم الحفر كل ليلة.
يخرجون في أكفانهم البيضاء، يسيرون ناحية المدينة، يختفون هناك في أضوائها البعيدة، كان أخوه معهم وقد صار أطول مما كان، وله مثل عيونهم عيونًا لا ترى إلا في الظلام.
يظلُّ طوال الليل ينتظرهم، لم يرَ عودتهم أبدًا، ولم يجرؤ على اتباعهم؛ لكنَّه يعرف أنَّهم هناك، عندما يبدأون الحفر في الليلة التالية.

ثقوب عمياء

خرجت من باب البيت، وضعت نظارتها الشمسية على عينيها، مشت حتى آخر الشارع، اختفت من نطاق رؤيته، هكذا مثل كل يوم تختفي طوال اليوم ثمَّ تعود، أين تذهب؟ لا يعلم، ولكنَّه مهتم. لماذا؟

سأل نفسه: لماذا يهتمّ بها دون غيرها من ساكني البناية، يرى الكثيرين منهم أثناء دخولهم وخروجهم من باب مكتب الاتصالات الذي يملكه والمواجه للبناية التي تسكنها.

يزعم أنَّه لم يرَ عينيها قطّ، دائمًا تغطيهما، شيء ما فيها يجذبه، ربَّما ملابسها المتَّسخة التي رآها بها يومًا وهي عائدة في منتصف الليل، لم يهتمّ في بدء الأمر، ولكن راعه ثقتها الشديدة وهي تسير بتلك الملابس حتى أنّها وقفت لبضع دقائق تتكلم مع حارس البناية، وراعه أكثر أنّه رآها على هذه الحال أكثر من مرة بعد ذلك.

صار يراقبها دون أن يقصد، في يوم تخيل أنّها تنظر إليه، شعر بارتعادة تسري في جسده، حاول أن يهرب من عينيها لكنَّه لم يستطع، كانت بالفعل تنظر إليه، وتأكد من ذلك حين تحركت من أمام البناية متجهة إلى مكتبه. هكذا أصبحت أمامه؛ قريبة منه حتى شعر بسخونة أنفاسها وهي تتكلم، ماذا قالت؟ لم يدرك، وقف مبهوتًا أمامها، لماذا؟ تساءل بعد أن رحلت.

ليست رائعة الجمال، لم يرَ عينيها، فقط يسمع دقَّات قلبه، يشعر بشيء ما، إنَّها تخيفه، لماذا؟ تساءل، ربَّما لأنَّه سمع ضحكتها يومًا وهى تهبط من سيَّارة أجرة، كانت مخيفة، لم يتوقَّع أن هذه الرقيقة يصدر منها هذا الضحك المخيف.

ذات يوم لم تخرج، ظلَّ يراقب نافذتها، بعد العصر فُتحت النافذة، لم يرَ إلا يدًا بيضاء عارية الذراع، بين أصابعها سيجارة، ومن ورائها دخان كثيف - يكره دخان السجائر - لم يرَ أباه إلا من وراء هذا الدخان الثقيل. رآها يومًا مع رجل، كان في مثل عمره تقريبًا، في آخر العقد الرابع من العمر، جاء معها في وقت متأخِّر من الليل، صعدا درجات السلم الخارجي للبناية، وقفا يتكلمان للحظات قليلة، تخيَّل إنَّه رأى عينيها في هذه اللحظة، ظلَّ طوال الليل يتخيلها بين ذراعي هذا الرجل، لم يره مرَّة أخرى، ولم يرَ غيره معها، إلا أنَّه ظلَّ يتخيَّل نهديها بين يديه، وشفتيها على شفتيه.

بكى في ذلك اليوم كثيرًا، دموعه يسيرة الوجود، كانت أمه تضحك منه إذا رأته يبكي، وتقول بحسرة: ليتك كنت مثل أبيك.. لم يخلع ملابسه أمام امرأة قطّ، ارتعدت ثنايا وجهه بشكل ملحوظ وهو يتخيلهما عاريان تمامًا، وضع يده على شفتيه لمنعهما من الارتعاد.

فكّر يومًا أن يسير وراءها، حاول ذلك ولكنَّه فشل، شعر وهو وراءها أنَّها تراقبه من عين خلفية فى رأسها، هرب من الاستمرار في المراقبة، ولبث خلف مكتبه يرتعد. أمسك ورقة وقلم، حاول أن يرسمها، لم يستطع أن يكمل الصورة أبدًا، كان دومًا يقف عند عينيها فلا يستطيع أن يحددهما.

في يوم جلس ينتظر خروجها، لم تخرج، انتظر طوال اليوم فلم يرها، مرَّ اليوم ويوم وراء يوم، وهي لا تظهر، هكذا تلاشت كدخان في الهواء، سأل عنها، لم

يستطع أن يحدد، عمن يسأل؟! نظر إليه حارس البناية وهو يشير إلى النافذة الخاصة بها، قال الحارس وفي عينيه حيرة: هذه الشقة يسكنها ثلاثة أخوة رجال، كلّهم مسافرون منذ ثلاثة أعوام.

نظر إليه مشدوهًا ثمَّ نظر إلى النافذة، همَّ أن يقول شيئًا، ولكنَّه جرى مسرعًا إلى مكتبه وجلس محاولاً أن يكمل أعين الصورة ، لكنَّه لم يستطع.

جنتي الصغيرة

أعشق الطرقات المظلمة، الظلمة تحتويني، تلملم أفكاري المبعثرة، تحمل عني عناء مواجهة الناس. أنفاسي الحارة تبتلع برودة المساء، ها أنا في منتصف الطريق أمام الكنيسة - أسير هنا كل ليلة عائدة من عملي في المستشفى القريب - كم تمنيت أن أدخلها! ضوءها الخافت يجذبني، هدوءها الذي يزيدها غموضًا، أجراسها التي تطنُّ في أذني، أشجارها الخاشعة المطأطئة بفروعها على السور العظيم الذي يخفيها عن العيون؛ كلُّ ذلك يزيد رغبتي في دخولها، أعبر أمامها بسرعة وأنا أهزُّ رأسي طاردة تلك الأفكار، فقط أختلس نظرات خاطفة من بوابتها المفتوحة دومًا وكأنَّها تدعوني للدخول..

صدري يزداد ضيقًا. البرودة تزداد وتزيد من ظلمة الطريق، علق حذائي بشيء في الطريق المترب، وقفت أحاول إخراج قدمي من الحذاء، بدأ المطر ينهمر، جريت ناحية السور وأنا ممسكة بالحذاء في يدي أحاول أن أحتمي بفروع الأشجار من المطر..

أنا الآن بجوارها لا يفصلني عنها سوى هذا السور العتيق، لماذا لا أدخل فلن يراني أحد في هذه الظلمة التي تحيط بالمكان. ترددت قليلاً ولكنني دخلت، سرت في طريق ترابيٍّ مبلّل بالمطر على جانبيه أشجار عالية حتى وصلت إلى باب خشبي ينبعث من خلفه ضوء خافت ملأني رهبة.

تخطيت الباب لأجدني داخل كنيسة صغيرة عتيقة، تنبعث من جنباتها رائحة بخور كثيف يدغدغ أعصابي؛ كراسيها خشبية قديمة متراصَّة خلف بعضها، جلست على أحدها وأنا أرتعد، لم يكن هناك إلا راهب يجلس على ركبتيه أمام تمثال للسيدة العذراء بوجها الملائكيّ وطفلها "المسيح" بين يديها. خُيِّل إليّ أنَّى أسمع صوت موسيقى عذبة تنبعث من جنبات المكان، يتراقص عليها ضوء الشموع الكثيرة متشابكًا مع الصور المحفورة على الجدران، هؤلاء المرسومون يتشاركون مع الضوء في رقصات بطيئة ويغنون بلغة لا أفهمها.

ذكَّرتني أصواتهم بصوت ابتهالات شيخ المسجد القريب من بيتنا قبيل صلاة الفجر، وصوت ندائه لأهل الحيّ كي يستيقظوا للصلاة، وكأني أسمعه يحكي عن الجنَّة، كما كان يفعل حين كنت صغيرة في حلقة تحفيظ القرآن؛ يجمعنا حوله في نصف دائرة، يحكي وصوته يتردد في براح المسجد حولنا، عيناي تلاحق عينيه وفمه لتبتلع الكلمات؛ مشدوهة أسمعه يقول:

- "عارفين الجنَّة؛ دي أجمل من أي مكان، فيها شجر وورد وملايكة منورين، ولهم جناحات طويلة، صوتهم غنا زي صوت العصافير، وكمان كل ما تتمنوا فيها حاجة تلاقوها قدامكم على طول، واللي هيروح الجنة هيفرح زي ما بيفرح يوم العيد، وكل أيامه تبقى عيد، مين عايز يروح الجنة؟".

نلوِّح بأصابعنا الصغيرة عاليًا مرددين: أنا، أنا..

يطرقع الشيخ بالعصا في الهواء، مشيرًا لنا بصوت محذِّر: "يبقى تحفظوا، واللي هييجي بكرة مش حافظ، هو حر".

ضحكت وأنا أغادر الكنيسة تاركة صوت الشيخ هناك يتراقص مع الأصوات الأخرى؛ وتذكرت حلمي الذي رأيته كثيرًا من بعد حكاية الشيخ.

رأيت أني في الجنَّة، كانت غرفة كبيرة كل ما فيها باللون الأبيض، تخصُّني وحدي، كلما تمنَّيت شيئًا أجده أمامي، فتمنَّيت الكثير من الحلوى والعرائس الجميلة، حتى امتلأت جنَّتي بها.

للقبح وجه آخر

صوت الدقات العالية يخترق أذنيّ، يعلو ويعلو حتى يتلاشى معه كلُّ شيء، أرقص، أتمايل مع النغمات الساذجة، يتردد صوتي عاليًا:

- يلا يلا، فين أصحاب العريس، فين أصحاب العروسة، يلاااااااااااا شجعوهم.

تعالى الإيقاع، اشتدَّ صداه في أرجاء القاعة، اشترك الجميع في الرقص، جاءه أحد الضيوف، أعطاه سيجارة ملفوفة بعناية، وقال: "ظبطنا يا باشا".

سحب نفسًا عميقًا، تذوق طعم الحشيشة، استلذَّها، أخرج الدخان ببطء من أعماقه، نظر للأجساد الراقصة، قال منتشيًا: "العريس اسمه إيه؟".

- عليّ.
- كنت فين يا عليّ أمّك بتدور عليك، زغرودة..

قال من بين أنفاس السيجارة المتلاشية:

- يا أولاد ----------*، تتناسلون كالأرانب، تفضُّون البكارات، تخرجون أنهارًا من المياه البيضاء من أجسادكم، تنتفخ بطون نسائكم؛ فتزداد الدنيا من البؤساء أعدادًا.

سحب آخر نفس من السيجارة، سعل، قال: "الله يلعن الحشيشة".

حدَّث نفسه: أنا أيضًا فضضت بكارة هند بيدي، صرخت، نزفت، تألَّمت - صمت برهة - هل كان هذا على السرير أم بجوار المصرف الذى رميتها فيه؟

كم كانت جميلة بأهدابها الطويلة النائمة، غاصت في المياه، قفزت وراءها، بحثت عنها، بحثت عنها كثيرًا، حبيبتي هند.

تحشرجت الكلمات في فيه: مهزوم أنا، مهزوم.

إنّه نفس الشعور البغيض حين استيقظت لأجد فراشي مبتلاً، بكيت، ذهبت إلى غرفة أمي، الباب مغلق، البيت مظلم، حاولت فتح الباب، لماذا لا ينفتح؟ سمعت أصواتًا تأتي من وراءه، آهات، همهمات غير مفهومة، نظرت في عين الباب رأيتها؛ إنَّها أمي، لم تكن وحدها!؛ رأيت عمّ شاكر بائع اللبّ، كانوا...

لقد فُضَّت بكارة أمي منذ زمن بعيد!

في الصباح كانت تقلي البيض رائحته ملأت أنفي، صوت فرقعته في الطاسة، صوت فرقعة الماء المغلي في البراد مع دقات قلبي وغصة حلقي ملأت أذنيَّ صخبًا، أكره البيض المقلي.

قلت بصوت خفيض: "بابا هيرجع امتى" - لم أسمع منها إجابة – "شفت عمّ شاكر إمبارح"، التفت إليَّ، اقتربت منِّي، نظرت في عينيّ، قالت ببطء: "شفته فين؟".

قلت بصوت مرتجف: "في الأوضه".

جذبتني من شعري: "إنت بتخرف".

قلت متحدِّيًا، دون أن أرفع عينيّ إليها: "في الأوضه، في الأوضه، في الأوضه..".

ضربتني، ضربتني بشدَّة، جسدي يؤلمني، ظللت أردد: في الأوضه، في الأوضه.

صوت الغناء يدقُّ في القاعة، تبخَّرت الحشيشة من رأسي، نظرت فإذا العيون كلُّها على وجهي، قلت فزعًا: هل قلت شيئًا؟

---

*ملحوظة :

الكلمة المذكورة لغة عربية فصيحة ، لكنها قبيحة ، أبيت أن أنطقها- أو لعلنى فعلت- رغم إنها مناسبة للحال.

*هامش قصصي:

م. علي مدير ناجح، مجتهد في عمله، محبٌّ للعمل، متفرغ له ومكبٌّ عليه، تعين في إدارة شركة ما، وهي على مقربة من الإفلاس، فارتفع بأرباحها حتى صارت في بدايات النجاح، مشكلته التي يعاني منها الآخرون أنَّه غليظ القلب، سليط اللسان، مبدأه أنّ المصري لا يسير إلا بالعصا، يسبُّ بسبب وبدون، يتلذذ بأن يجمع الموظفين، فيشتم ويسبُّ، وهم ناكسو رءوسهم.

بدأ السباب..

- يا ريس في بنات.

- وإيه يعني، ما هم بيسمعوا الكلام ده في الشارع.

- شارعنا غير بقيَّة الشوارع، فيه سبابٌ ولكن ربَّما أذني ليست كبقيَّة الآذان، هل يجب أن تسمعني تلك الكلمات البذيئة؟!

- هل يجب أن تقولي هذا الآن؟ اتركي جسدك لي، اتركي عقلك لي، انسي الشركة قليلاً.

الآن أنا وأنتِ فقط، وغدًا..

- وغدًا أنا وأنتَ والموظفون وزوجتك و..

دار في ذهنه: يا بنت (القحبة) إنَّك تفسدين كلَّ لحظاتنا الحميمية. لم ينطق، ابتلع كلماتها وغاص في جسدها ونام.

-

(2)

استسلام

تراصوا طابورًا طويلاً، نظر إلى هيئتهم المنهكة، ألقى عليهم ابتسامة مطمئنة، وقال:

- أحسنتم، أنجزتم المهمة بنجاح، لم يبق إلا أن نجمع أسلحتنا ونعبر هذا المجرى المائي إلى القرية المجاورة لنقتل من تبقَّى فيها من الأحياء.

غاصت أحذيتهم العالية في الماء، انحنوا جميعًا راكعين ليعبر على ظهورهم حتى لا تبتلّ قدمه.

شمس لونها أخضر

صغير أنا، أتحسس الأشياء بيد، وأكتم فمي باليد الأخرى، ها قد وصلت دون أن تشعر أمي.

يدي تطاول الرفَّ الثاني من المكتبة، شببت، وقفت على أطراف أصابعي – طلتُ كثيرًا عن المرَّة السابقة – لمست الشيكولاتة بيدي، كتمت سعادتي.

تحسست الطريق حتى وصلت لمنضدة الطعام . اختبأت أسفلها، أكلت الشيكولاتة بسعادة المنتصر، وبرغم الحساسية التي تصيب جلدي؛ إلا أنني لن أتوقف عن أكلها، فرائحتها تعجبني.

- ما لون الشيكولاتة؟

قالت أمي: لونها بنيّ.
أحببت اللون البنيَّ، فكلُّ بنيٍّ يذكِّرني برائحة الشيكولاتة.

في المدرسة أغنِّي والتلاميذ أغنية إنجليزية، تأمرنا المعلمة بالوقوف، نشير إلى رؤوسنا ثمَّ أعيننا وآذاننا، أنوفنا وأفواهنا، مع الغناء الصاخب بأسماء هذه الأعضاء.

- كيف ملامحي؟

ابتسمت أمي، وقالت: "جميلة، لك أنف بحجم حبَّة العنب الكبيرة، وفم مثل الكريزة، وشعر مثل حلقات البطاطس اللذيذة".

ضحكت، وقلت: "وما لوني؟".
قالت وهي تدغدغني: "لون الشيكولاتة".
ضحكتُ وتلوَّيت بين يديها: لوني بني.

تأخذني أمي لنسير في الأيام المشمسة، تقول إنَّ الشمس مفيدة للصغار.
تمسك يدي، ترشدني، وأحيانًا تترك يدي وتسير بجواري، تقول: هذا يعلمُك الاعتماد على نفسك، تحسَّسْ طريقك وسرْ، ربَّما لا تجد من يقودك، احفظ الطرق بأذنيك.
سرنا في الحديقة، وضعت في يدي ورقة خشنة، قالت: قرِّبها من أنفك.

- رائحتها جميلة.

- هذا اسمه ريحان.

- ما لونه؟

- أخضر.

- وهل الشمس أيضًا لونها أخضر؟

ضحكت: لا لونها أصفر.

- لو كان لونها أخضر لشممت رائحة الريحان في كلِّ مكان نذهب إليه.

ضحكت وقبلتني: فعلاً كنا استمتعنا أكثر.

(جذبوه من يديه، جرُّوه على الأرض، ثَقُل جسده، يتشبَّث بالأرض، يصرخ، يبكي، يزبد، ضربه أحدهم بالسوط على رأسه، قال له:

- ما بالك تخشى الموت؟ أما جرَّبت الحياة، فماذا تريد منها أيُّها الصعلوك؟

صمت هنيهة من وقع الضربة على رأسه، ثم عاد لصراخه ونحيبه.

هو الأن على الصليب، ضربوه بالسياط، مزَّقوا جسده ألمًا، وجهه مغطى باللون الأحمر).

أوقف المسجل..

- مغطى بالدم.

أدار المسجل مرة أخرى..

(هو الآن على الصليب؛ جسده ممزَّق من الضرب، لم يكتفوا بآلام دقِّ جسده بالصليب بل زادوه ألمًا بالسياط، لا شيء الآن، جسده عالٍ عن الأرض معلَّق على صليب خشبيّ، وحده لا يشاركه الألم إلا الشمس المحرقة تهبط بلونها الأصفر تكوي جراح جسده).

أوقف التسجيل..

- تهبط بأشعتها.

رنَّ جرس الهاتف بجوار يديه، قربَّه من أذنه، الهاتف يردد اسم المتَّصل، أتاه صوت بعيد يخبره عن عدد النسخ التي تمَّ بيعها من روايته الأخيرة، نجاح ساحق قابله بابتسامة باهتة.

وقف، تحسَّس طريقه، يحفظ أماكن كلّ شيء، دخل المطبخ، أعدَّ فنجان قهوة، علَّمته أمُّه رحمها الله كلَّ شيء

- لن تحتاج لأحد، اجعل عينيك في أذنيك ويديك.

تذكر كلماتها وهو يعود إلى مسجله ليكمل القصة:

(تقيحت جروحه تحت وهج الشمس اللعين، أنفاسه متتابعة لا يقطعها إلا صوتها القادم من بعيد، اقتربت منه، أخرجت من جسده المسامير، مسحت الدماء عن وجهه، قبَّلته، أمسكت يديه وطارا، تعانقا في السماء، نظر إلى عينيها بخجل وقال:

- أغاضبة منِّي؟

وضعت يدها على فمه: لا يا حبيبي.
- حقًا تحبينني؟!

- أعشقك.

- رائحتكِ جميلة.

- إنَّه الريحان.

ابتسمت: أتذكر كنت تحضره لي كل صباح.

- نعم يا مولاتي.

- لست مولاتك، أنا حبيبتك.

- ليتكِ قلتها لي من قبل ولو مرَّة.

- انسَ ما كان.

علا الحزن وجهه..

- لِمَ أنتَ حزين، ألسنا معًا الآن؟!

أجابها وعيناه تبحثان في الفضاء: هل آلمتكِ، رأيتكِ وأنتِ تتلوين على الفراش.

- إنَّه السمّ.

- ما كنت أملك غيره، وإلا لكنتِ الآن بين يدي الدوق الأحمق.

ضحكت: كنت سأزف إليه ليلتها.

- آسف يا مولاتي، فأنا خادمك الطائع، أتذكرين أسفارنا معًا في رحلات الصيد، كنت أترك إعداد الطعام لأراقبكِ وأنتِ تمرحين بين أصحابكِ مشدوهًا إلى وجهكِ والتفاتاتكِ الساحرة).

أوقف المسجل..

صوت الهاتف يعلو، سمع اسم محدثه يتردد.

- مبروك يا دكتور، جائزة الدولة التقديرية عن مجمل أعمالك.

قارب على الستين ربيعًا، امتلأ الحائط بشهادات التقديرعن جوائز إبداعية شتَّى، كما قالت أمه:

- ستكون الأفضل.

كانت آخر كلماتها، ماتت بعدها بأيَّام قليلة، تركته وحائط الجوائزورحلت.

أدار المسجل:

(طارا حتى اقتربا من بوابة السماء العليا، جذبها برقة لتواجهه: دعيني أتأملكِ مولاتي، نظرت في عينيه، قال: كنت أتصوَّر أنكِ لا تحبينني، لقد أهملتني دائمًا، رأيت سعادتكِ حين تقدَّم الدوق لخطبتكِ، كنت أراقبكما وأنتما تسيران في الحديقة، رأيته وهو يقبلكِ عند شجرة الياسمين.

وضعت أصبعها على فمه، وقالت: أنا اليوم ملكك.

أشارت بيدها إلى السماء: انظر، انفتح أمامهما باب، ولجا منه إلى عالم باللون الأخضر، سماؤه خضراء، وأرضه خضراء، وشمسه ريحانة باللون الأخضر، حتى الندى تساقط عليهما. وريقات ريحان خضراء صغيرة.

ما زال الجسد معلَّقًا على الصليب، والندى يتساقط على الأرض المستيقظة من غفلة الليل الماضي، وجسد كاترينا الجميلة يوضع في صندوق أسود منقوشة عليه صلبان ذهبية).

أغلق المسجل.

قرَّب الهاتف من فمه، نطق باسم صاحب دار النشر، ردّ الأخير عليه، فقال له: اسم كتابي القادم: (جسد معلق على الصليب).

موجات صامتة

موجات قديمة

استيقاظ مرهق. تستيقظ مع أول قطار يمرّ، ظلت في الفراش تشعر بالفراغ. لا شيء في جوفها حتى قلبها لا تسمع نبضاته.

صوت العصافير عذب، تساءلت كثيرًا كيف لا تفزع تلك الكائنات الرقيقة من صوت القطار؟!

- **ماتاكلي.**
- **ماليش نفس.**

تركتها وهي تقول: "يعني هاجري بيها هي كمان عالدكاترة مش كفاية أبوها".

سمعت أمَّها بوضوح، قالت تلك الكلمات وهي في المطبخ، هناك في آخـــــر الصالة.

المطبخ بعيد..

لا يهمُّ أن تشرب الماء الآن برغم أنها عطشانة جدًا - لسه هامشي لغاية المطبخ، ده بعيد أوي.

***

موجات مسروقة

جلس بجوارها، يأكل في صمت، حاولت أن تتكلم، نظرت إلى سقف الغرفة وقالت:

- **لماذا لا نمارس الحبَّ مساء الخميس؟!**

نظرلها، ولم يتوقف عن مضغ الطعام، انصرف، هبط السلم بسرعة.

- **انزل السلم بالراحة لحسن تقع.**

هذه جارتها أم سعيد، تكلَّم ابنها الصغيرفي الطابق السابع، وهي في الطابق الأول!

سمعت زوجها يهمـــس وهو يفتح باب العمارة:

- **هي إتجننت، نسيت إن عندي نبطشية يوم الجمعة.**

عندما سمعت صوت السباك، ظنَّت إنَّه زوجها؛ لهما نفس نبرة الصوت..

****

موجات رتيبة

كلكسات، باعة جائلون، ضحكات بنات المدارس، بكاء صبيٍّ تضربه أمُّه، ثرثرة بعض السيدات عن فستانها القصير.

- **رجليها باينه، مش تحترم سنّها!.**

دخلت المكتب، مرَّاليوم ببطء.

- أنتِ ما بتتكلميش كثيرليه.
- ما أنا يا أسمع يا أتكلم - قالتها في سرِّها - ما هو ما ينفعشي تقول لرحمة بالذات الكلمة دي؛ هتفضحها في الشركة.

***

موجات محبطة

قالت له: أنا كنت بنام على صوت إذاعة القرآن الكريم، بس طالما اتجوزنا خلاص..

لم يلتفت لكلمتها، يمارس الحبَّ في صمت، لا تسمع إلا صوت فمه وهو يلتهم جسدها، يذكرها بمشمش قطّ الجيران وهو يلتهم باقي الفرخة التي وضعتها أمامه، أخذتها من وراء أمها، وخبأتها ليلة كاملة في الدولاب أسفل الملابس – عشان محدش يشوفها– تسلّلت بعد خروج أمّها إلى السوق، ووضعتها أمام مشمش الذي شكرها "بنونوة" ناعمة، وأخذ يلتهم الدجاجة.

عادت تنام على صوت إذاعة القرآن الكريم.

***

سمعت صوته دافئًا جدًا، يذكرها بصوت أبلة نهلة، وهي تلقي الشعر في الطابور الصباحي، صوتها يملأها بهجة، تجري عليها في الفسحة وتحتضنها وتقول: "بحبّك أوي يا ميس نهلة".

- وأنا كمان بحبّك أوي يا هبة.

فقط تريد أن تسمع اسمها بهذا الصوت الملائكي، لم تحبّ اسمها من قبل، كانت تتمنّى أن يكون اسمها نهى أو سهى أو لجين – حاجة كده يعني.

ظهر واختفى هكذا مثل فرقعة الأصابع، تأتي فجأة مع حركة أي أصبع، وبسرعة جدًا تختفي.

- آنسة هبة ممكن تصوري لي الملف ده نسختين.

ذابت الكلمات داخلها – زي الأيس كريم حلو قوي بس ساقع بتحتفظ به في بقها وما بتبلعوهش على طول.

- أنسة هبة.

لو قال اسمها مرَّة تانية هتصرخ.

جاء من مكتب المحاسب القانوني للتفتيش على الشركة، كان الجميع يتحاشاه عداها، التصقت به.

آخر يوم في السنة، جمع أوراقه ليغادر، قال لها مبتسمًا:

- بحتفل برأس السنة لوحدي.
- وأنا كمان.. "كانت بتكذب".
- ينفع أعزمك..
- ينفع طبعًا "قاطعته بسرعة".

أجمل كلمة سمعتها، تحيا بها حتَّى الآن، كانت على فراشه، احتضن جسدها، وضع فمه على أذنها، قال: أحبُّكِ.

ارتعشت، سرت الحروف ذبذبات في جسدها، انسابت مخترقة لحمها وعظامها، تهادت في أوردتها، سكنتها.

كلما تذكَّرته تتساءل - هي دي كانت حقيقة ولا خيال؟!

***

- قومي اعملي شاي.

الماء يغلي، صوت فرقعة الماء يجعل أنفها تتحرك، أمسكتها بيديها، تركت الهواء يخرج من فمها، صوت تنفّسها يشبه الرعد.

ربَّما سيريدها الآن، لا، سينام بالتأكيد أمام التليفزيون مثل كلِّ ليلة.

جلست بجواره، نظرت إليه، كيف لم تنتبه أن نبرة صوته - زي صوت البواب بالظبط.

وهن

المرآة تلك التى تشاركني كل الغرف، غرفة نومي، مكان استحمامي، ملتصقة بدولابي، هناك دائما مرآة تراقبنى، تسجل ملامح جسدي الواهن..

***

سرت على الشاطئ بقدمي الحافيتين، رأيت عددًا من الشباب يتجمَّعون حول امرأة في العقد الخامس من عمرها، لها عيون كحيلة، وأنف صغيرة يتدلَّى منها حلق فضِّي، ووشم قديم مطبوع على ذقنها الدقيقة، ابتسمت لي، أعطتني الودع دون أن أطلبه وقالت:

- وشوشي الودع يا بنيَّة.

لمحت سنة فضيَّة في فمها، نظرت المرأة في عينيّ وقالت: أمُّك وين؟

لم أجب، فأردفت السيدة: لكِ حظّ أمُّك يا بنيَّة.

***

أذكر بيت أمّي بدفئه الدائم. كانت الشمس تسكنه؛ لم تغادره إلا حين ماتت أمي، أذكر غرفتي الورديَّة، وغرفة أمي بخزانتها العملاقة، كنت أراها في أحلامي تهتزُّ، ترقص، تبتسم، تدور على أحد أرجلها الأربعة حين وجدتها أمي تميل ناحية إحدى الجهات، حزنت، فأخبرتها أنَّها كانت ترقص كثيرًا.

ضحكت أمي، وضمَّتني إليها وقالت: تلك الشقيَّة من كثرة الرقص كسرت ساقها الصغيرة.

لم تعد ترقص الآن، أستجديها حتى تفتح أبوابها وتخرج لي أحد الفساتين السحريَّة التي تملكها، كلُّ فساتينها لها أجنحة، كنت أتمنَّى أن أطير بها إلى أمي، قال أبي: إنَّها هناك في السماء.

- أريد أن أذهب إليها.

صمت لحظات،ثم قال: ليس عندكِ أجنحة سحريَّة.

كنت أحسد الطيور على أجنحتها.

***

نظرت في المرآة لصدري العاري، رأيت وجه زوجي يظهر من خلفي، فأحكمت وضع الملابس حول جسدي، سألني عمَّا يشغلني، فهمست:

- إنَّها الحياة، تلك الخربة التي تسكننا ونسكنها، تدور بنا كالفراشة البلهاء التي تسعى لحتفها.

ابتسم وقبَّل رأسي وغطَّ في نوم عميق، جلست على الفراش أتأمَّل وجهه المنهك، لمست صدري بحذر، أعلم أنَّه هناك ينمو ببطء، يأكل خلاياي الواهنة، قررت أن أخفي الأمر عن الجميع زوجي وطفلتي الصغيرة، وألا أذهب إلى الطبيب.

مرَّت الأيَّام التالية وأنا أبحث في وجوه النساء القريبات عمن ستسكن البيت بعدي.

نسيج قبلة

كل يوم يعلن عن مجيئه بشكل مختلف، لكن الأيام جميعًا تتَّفق على بداية واحدة، شمس تسطع حارقة جدًا في الصيف، باردة ومنكمشة في الشتاء.

أسير في نفس الطريق منذ سنوات، الكلُّ يبدو بنفس الهيئة؛ نساء يحملن أكوامًا من اللحم، يسيرن ببطء، ورجال ترى في عيونهم انكسارًا، يسيرون وسط الطريق حيث احتلت جانبيه مقاهٍ يجلس عليها رجال لا تعرف هل استيقظوا، أم لم يزالوا نائمين، تتصاعد من أفواههم أدخنة تختلط بالهواء الرقيق الذى يهبُّ بطيئًا، فيُسمع سعال من هنا وهناك.

هكذا كل يوم؛ أسير وسط هذه اللوحة الثابتة التي لا تكاد تتغيَّر، أذهب إلى المطعم، في فترة النهار العمل قليل، والزبائن محدودون، فهنا الحياة تبدأ بعد الثامنة مساءً وهو ميعاد الوردية الليلية. اعتدت الابتسام في وجه الجميع، زبائن المطعم معروفون لا تتغيَّر وجوههم، ولا ميعاد مجيئهم شبه اليومي.

رأيته، كان جذَّابًا، يأتي بمعطف أسود طويل، وقامة رقيقة ممشوقة، ووجه أسمر، كان يحييني بابتسامة جذَّابة، دائمًا تتأبَّط يده امرأة ما، يخيَّل إليَّ أنَّها

تحبُّه، وأعتقد أن حبَّها لا يكاد يصل إلى قلبه قطّ، فقط يُظهر الحبَّ في لمساته الرقيقة التي تبدو متعمدة، تتغيَّر النساء ولا تتغيَّر لمساته!

يجلس وسط أصدقائه، ينظم شعرًا رقيقًا، أسعد بسماعه وأحفظ كلماته بسرعة، لم نتبادل الحديث يومًا، حتّى جاءت ليلة من ليالي الشتاء، جاء وحيدًا دونما امرأة، شرب كثيرًا، نطق بكلمات غير متَّزنة، تخللها ضحك صاخب. كنت أقف على مقربة من منضدته، لمحني، توقَّف عن الضحك، ابتسم، قام متَّجهًا إليَّ، لم أعِ ما حدث، فقط وجدت فمي ملتصقًا بفمه، جذبني، قبلني، لم أقاوم، سمعت صوتًا داخلي يقول: يا لها من متعة، لا تضيعينها.

كانت قبلة طويلة بطعم الحياة، تركني وأنفاسي تتلاحق، وقفت مشدوهة لبرهة حتَّى أفقت على صخب الزبائن، نظرت له، كان واقفًا يبتسم، جريت مسرعة إلى غرفة تبديل الملابس، نظرت في المرآة، وضعت يدي على فمي أتحسسه، لمحت الدبلة في يدي، ليست أول قبلة في حياتي، قبَّلني خطيبي مرات عديدة أسفل السلم؛ قبلات سريعة خاطفة مرتعشة، لم تكن أبدًا كتلك القبلة!

في اليوم التالي، وأنا أسير في وسط الطريق كانت النساء أكثر رشاقة، وللرجال عيون باسمة يعلوها الكبرياء، وزبائن المقاهي يرتِّلون أشعارًا جريئة، وأدخنتهم برائحة الفلّ، وقد اختلطت بهواء رطب حرَّك تنّورتي الملوَّنة، رفعها قليلاً، فمنعتها بيدي اليمنى الخالية من الدبلة.

هل تكره طعم الثلج؟

حين سقطت فراشة في قالب الثلج الفـــارغ صببت عليها الماء، وانتظرت حتَّى صار قالبًا مجمَّدًا احتفظ بجسدها داخله، أحاطه، سجنه في قلب برودته ولا شمس هنا لتحررها منه.

كانت طفلة صغيرة، هوايتها الوحيدة أن تجلس وراء النافذة تطلُّ برأسها، تتابع عمال مصنع الثلج في البناية المقابلة وهم يخرجون ألواح الثلج الكبيرة. كانوا يحملونها كألواح الخشب على أكتافهم، ويضعونها برفق لا يتناسب مع قساوة وجوههم فوق عربة خشبيَّة يجرُّها حمار بطيء.

تحبُّ لون الثلج شفافًا يتلوَّن بلون ما خلفه، تتمنّى أن تلمس أحد تلك الألواح بيديها، ولكن كيف تخرج وأمها تغلق جميع الأبواب فلا تسمح لها بالخروج على عكس ما تفعل مع أخيها الأصغر.

تساءلت: لماذا لا يذوب الثلج؟ لماذا لا تتفتت ألواحه الضخمة؟!

تحبُّ الثلج، تملأ فريزر الثلاجَّة بالكثير من قطعه الصغيرة، تخرج خمس قطع وتضعها في كوب شفَّاف، تضع إحداهن في فمها وتظلُّ ترقب ذوبان

الأخريات، تفعل هذا كلَّ يوم حتَّى في أيَّام الشتاء الباردة. يسخر زوجها من تصرفها هذا، ولا تجيبه على تعليقاته الساخرة، تمنَّت أن تخبره أنَّها تحبُّ أن ترى الثلج وهو يذوب ليصبح قطرات ماء طعمها رائق كماء المطر لم يتلوَّث بعد بتراب الأرض؛ لكنها لم تخبره.

تزوجت وهي بعد صغيرة؛ عمرها لم يتجاوز السادسة عشر إلا بقليل، رأت أمَّها أنَّ ابن خالتها العائد من الخليج، سيكون زوجًا مناسبًا لها، على الرغم من أن عمره ضعف عمرها، لم يعترض أبوها، بل هزَّ رأسه بالإيجاب عندما قالت أمها:

- اللي نعرفه أحسن من اللي ما نعرفوش.

جاءها أبوها وقبَّل جبينها، وقال: عايز أطمن عليكِ قبل ما أموت.
اعتادت أن ترى أباها مطأطئ الرأس، حائر العين، منذ أُقعد عن العمل لحادث أصاب عموده الفقري، فأعجزه عن الوقوف لفترات طويلة كما كان يتطلب عمله في المصنع، فأحيل إلى معاش مبكر وهو في الثانية والخمسين من عمره. ظلت تراه هكذا أربعة أعوام كاملة، حتى استيقظت يومًا من نومها على صوت صراخ في آخر الشارع، فأيقظت زوجها وقالت: لقد مات أبي.
أصرَّت أن تذهب إلى بيت أبيها في تلك الساعة المتأخِّرة من الليل، وهي ما زالت عروسًا لم يمرّ على زواجها إلا بضعة أشهر. مات أبوها، نظرت إليه وهو مسجَّى على الفراش، وجهه مبتسم كمن تخلص من عبء ثقيل.

عمال مصنع الثلج لم يكونوا يبتسمون أبدًا، خيِّل إليها ذات يوم أنَّها رأت أحدهم يبتسم، يومها أسرعت إلى النافذة عندما سمعت أصوات عراك، كان عدد من العمال يتشاجرون على مقربة من العربة المحمَّلة بألواح الثلج.

اشتدَّت المشاجرة، لم تفهم كلماتهم المتداخلة برغم علو أصواتهم، ولكن أحدهم أمسك عصا من الأرض وظلَّ يضرب ألواح الثلج بكلِّ قوَّته، تكسَّر لوح أو لوحان فمنعه الواقفون من تكسير باقي الألواح وأخذوا منه العصا. ظهر الحاج سعيد صاحب المصنع فجأة فنهره وكاد أن يضربه لولا أُبعد عنه، طرده.

لم يفعل المطرود شيئًا، فقد هدأت ثورته، وأخذ يلهث، ثمَّ تفل على ألواح الثلج، وسار مبتعدًا، وهو يبتسم، خُيِّل إليها أنَّه ابتسم!

قبَّلت رأس أبيها، وبكت، ظلَّت تبكيه أيامًا طويلة. ترك زوجها البيت أغلب الأوقات، فكان يأكل وينام عند أمه، لم يحتمل حزنها ولا ثوبها الأسود. بعد أسبوعين من الوفاة أمرها أن تبدل ثيابها السوداء، بكت وقالت:

- إزاي أغيره قبل الأربعين، ده أبويا؟

بعد يومين من الوفاة جاءها وهي نائمة، خلع عنها ملابسها، استيقظت من نومها لتجد نفسها عارية، فعل كل ما أراد، وتركها وغادر الغرفة معلنًا: أنَّها باردة جدًا أكثر من لوح الثلج. لم تبكِ، فقد اعتادت هذا منذ اليوم الأول لزواجها، كانت ترتعش، لا تستطيع أن تتكلم، تشعر بالخجل، كان لطيفًا في بداية الأمر، فعلت كلَّ ما أمرها، ولكنَّها ظلَّت خائفة، خجلة، متصلِّبة، لا تستطيع حتَّى أن تتقلب، ولكنَّه استمرَّ، فعل كل ما أراد ثمَّ تركها وغادر الفراش.

ظلت خائفة ترتعش، تلملم ثيابها، خرج من الحمام ونظر إليها قائلاً:

- أغلب النساء المصريات مثلكِ هكذا، تمامًا مثل لوح الثلج!

تحبُّ طعم الثلج، ولكنَّها تشعر بقشعريرة وهي ترى روحها حبيسة داخل أحد تلك الألواح الثلجية التي لا تتكسر بسهولة.

فقط عندما ينتهي العرض

قفزت حتّى كادت تلمس السماء بيديها، جزيئات الضوء المنتشرة في الأرجاء لامست أهدابها الكثيفة، تجمَّعت وتكثَّفت وصارت خيوطًا ناعمة تطير متعلقة بالنغمات الموسيقية الحالمة..

ترسم بقدميها خطوات قليلة، مع كلِّ خطوة ضوء بيضاويّ يظهر على الأرض، توقَّفت، فتلاشت كلُّ الدوائر إلا دائرة واحدة من الضوء احتضنت جسدها الصغير. قفزت فارتفع فستانها القصير، وهبطت فهبط معها كفراشة تطير هنا وهناك، دار جسدها مع النغمات المتصاعدة، كانت قدماها تلمسان الأرض برفق، رفعت ساقها، ارتكزت على قدم واحدة، مرَّت بيديها على ساقها المرفوعة في الهواء..

النغمات الموسيقيَّة تقود خطواتها، أسرعت حين أسرعت الموسيقى، وأبطأت حين أبطأت، هبطت، ثم صعدت، دارت، ثمَّ وقفت، خفت الضوء كالليل حين يداهم النور فيبتلعه رويدًا رويدًا، توقَّفت الموسيقى أو كادت فهبطت بوجهها حتَّى كادت تلمس أهدابها الأرض، طوَّقت وجهها بيديها كبجعة تخفي رأسها بين جناحيها.

تسمع الموسيقى تتصاعد مرة أخرى من جنبات المكان، قريبة جدًا كأنَّها تعزف داخل أذنيها، ظهرت حوريَّات يرتدين اللون الأبيض الناعم، كن

يتمايلن في بطء، وقفن حولها في نصف دائرة واسعة، ثمَّ ظهر هو فجأة، كانت تنتظره، بدا كطائر أبيض ضخم، جاء من خلفها، طوقها بذراعيه رفعها من على الأرض. تلوَّت بين يديه متمايلة كالزهرة تتمايل مع النسيم، أمسك كفَّها الصغير، أدار جسدها حتى واجهته، تلاقت عيونهما، كان يبتسم بعذوبته المعهودة ، لكنَّها لم تبتسم، فهي لا تبتسم أبدًا حتى ينتهي العرض.

تعالت الموسيقى، ثمَّ بطأت، ثمَّ توقَّفت تمامًا.

وقفت يدها في يده تتلقَّى تصفيق الجمهور، وابتسامة رقيقة تكاد تظهر على شفتيها. شهقت فزعًا؛ صوت ارتطام أفزعها، سمعته يهتف بفزع حقيقي:

- آسف، آسف جدًا، هل آذيتكِ؟ هل وقعت على قدمكِ المصابة؟

لم تستوعب ما حدث، المرئيات تقترب من عينيها كأنَّها قادمة من عالم آخر، نظرت إليه فزعة، ثمّ نظرت على خشبة المسرح، هناك فتيات يحيين الجمهور، أين ذهب حبيبها؟ إنَّه ليس هناك، وهي أيضًا ليست هناك. نظرت إلى وجهه مرَّة أخرى، التقط العصا - التي وقعت - من على الأرض وأسندها على كرسيها، كرر اعتذاره، قائلاً:

- آسف سيدتي؛ لم أقصد الإيذاء تعثرت في عصاكِ دون أن أقصد.

تجمَّعت الصورة في عينيها، كادت دمعة تغافلها وتسقط على وجهها المتغضِّن المليء بشقوق الشيخوخة ومرارة السنين.

غادرت المكان تاركة وراءها الماضي بذكرياته الحلوة، وآهاته المتحجرة في جنبات المسرح الكبير، خرجت إلى الشارع، نظرت إلى السماء، الليلة مقمرة، ولكنَّ السماء هنا غير السماء داخل المسرح، فسماء المسرح دائمًا ورديَّة حالمة حتى مع الإضاءة الخافتة.

تضاء من الخارج

سلمى سامي هذا اسمي.

- موسيقيّ يتناسب مع اسم مغنِّية أو ممثِّلة.

تخبرني بهذا وهي تبتسم، تطبع قبلة على خدي، تربت على كتفي وهي تمصص شفتيها بتحسر، هذه جدتي تنظر إلى أمي بطرف عينيها، فتبادلها بنظرة محذِّرة، ووجه جامد الملامح، لا تحرّك ثناياه أيَّ ابتسامة.

- سلمى سامي.

أول يوم في العام الدراسي، أحمل همَّ هذه اللحظة التي ينادي فيها اسمي، أرفع أصبعًا مرتعشًا خجلاً، تأمرني المدرسة بالوقوف، تنجذب العيون كلها إلى وجهي، تلتفت الرؤوس لتراني، أسمع شهقات وهمهمات، أطأطئ رأسي، تأمرني المُدرِّسة بالجلوس دون أن تسألني عن شيء، يتكرر هذا الموقف في بداية كلّ عام دراسي.

في اليوم الأوَّل بالمدرسة الإعدادية، جلست بجوار الحائط الأيمن للفصل حتى إذا وقفت يرى كلٌّ من في الفصل نصف وجهي الأيسر فقط، هذا يقلل من إحراجي.

لم تقترب منّي التلميذات حتَّى نهاية اليوم الدراسي. اعتدت أن أكون وحيدة. في اليوم التالي دخلت المدرسة، وقفت على استحياء في المكان المخصص للطابور الصباحي، سمعت همهمات يتردد من بينها اسمي، تغافلت عن هذا، صرت أحرِّك رأسي في كلِّ اتجاه، عيني تدور مع العيون، أسمع كلمات متفرقة، ضحكات هنا وهناك، تمنَّيت أن أذوب في مكاني، فلا يبقى منِّي أثر.

حتى رأيتها تتقدَّم مني، واجهتني بابتسامة كبيرة، مدَّت إليّ يدًا ثابتة:

- إزيك، أنا نهلة محمود، معكِ في الفصل.

تردت قليلاً، شجَّعتني ابتسامتها، مددت إليها يدي، فطوَّقت يدي بيدها الأخرى، نظرت في عيني وقالت: "لون عينك جميل بلون الزرع في بلكونة بيتنا".

خجلت، وضعت يدي على عيني المطموسة، قلت بصوت خفيض:

- لا أملك إلا عينًا واحدة.

- لكنَّها جميلة. ظلّت محتفظة بابتسامتها العذبة.

أمسكت يدي، سارت معي في فناء المدرسة، وهي تثرثر عن أمِّها والزرع الذي تسقيه كلَّ يوم، وتأمرها بتنظيف أوراقه يوم الإجازة، وأبيها الذي لا يملك إلا عقلة أصبع واحدة في إبهامه الأيمن.

قاطعتها:

- أنا أيضًا ولدت هكذا بعين واحدة.

لأوَّل مرَّة أتكلَّم عن عاهتي، كنت أبكي كثيرًا وحدي، أبتعد عن رفيقاتي بالمدرسة، أهرب ممن يسألني عن عيني المفقودة، أما معها فقد تكلَّمت بلا خجل.

نهلة فتاة رقيقة، جسدها صغير، عيونها بلون الليمون، ابتسامتها لا تفارق وجهها، تثرثر أغلب الوقت، تطوِّح يديها في الهواء وهي تتكلَّم، تتحرَّك حولي مثل الفراشة. نهلة جعلت لحياتي طعمًا مختلفًا، تناسيت معها أمر عيني التالفة، ما عدنا نفترق حتى ظهرت نتيجة الثانوية العامة لألتحق بكليّة الطبّ، وتلتحق هي بكلية الآداب.

لأوَّل مرَّة نفترق، كنت أرتعش وأنا أدخل من باب الجامعة، وأمي تدفعني، أضع نظَّارة شمسيَّة سوداء تخفي عيني ولا تخفي خجلي، أين نهلة الآن؟ كانت دائمًا بجواري تدافع عنِّي وتحميني من سخافات الناس بل كانت تريني ما لا أرى، تعلَّمت منها أشياء كثيرة عن الحبِّ والتفاؤل والضحك والسعادة، وأشياء أخرى عن الأنوثة والجمال والشباب. كم أنتِ حنونة يا نهلة! تتحرَّك من حولي، تضحكني إذا بكيت، تربت على كتفي، تقبلني في عيني المطموسة، تبتسم ابتسامة كبيرة وتقول: تملكين ألف عين هنا، وتشير إلى قلبي.

خرجت من أفكاري لأجدها أمامي، تركت كلِّيتها وجاءت لتخفف من توتري في مواجهة الناس، سعدت بها احتضنتها، فوضعت يدها في يدي وسارت تعرفني على الجميع.

تعرَّفت على كثيرين بواسطة نهلة من داخل كلِّيتي، كانت تصل بيني وبينهم ؛لكي لا أبقى وحيدة في غيابها، كنت أعلم هذا، أضحك منها وهي تحاول أن تقوم بدور الأم لي. تعرَّفت عليه معها، إيهاب النسخة الأخرى لها، يقوم بدور الأب لي، تغيَّرت نهلة، توقفت عن الكلام. ومعه تصمت لا تثرثر كعادتها، أرى عينيها وهي مثبَّتة على وجهه تبتلع كلماته كلمة كلمة، وألحظ عينيه تتابعها في كلِّ مكان.

تقرَّب إليَّ ليكون قريبًا منها، مرَّت سنوات الجامعة الخمس وهما لا يفترقان ولا يتركانني لحظة، ولكن أحيانًا أنظر لهما وحزن ما ينبعث داخلي.

عندما أخبرتني نهلة أن إيهاب سيتقدم لخطبتها، بهتُّ، لماذا؟ هل أغير منها؟ كيف؟ إنَّها صديقتي وأختي وأمي. صارت عروسًا جميلة، كنت أقف بجوارها، ابتعدت عنها حتى لا أظهر في الصور فأشوِّه جمالها بقبحي، انتظرت أن تناديني، تشعر ببعدي، لكنَّها لم تفعل، لم ترني وأنا أبتعد وأغادر الحفل، لم تشعر بغيابي، لأول مرَّة أشعر أني عمياء تمامًا لي عين مطموسة وعين أخرى تركتها هناك عند نهلة في عالمها الجديد.

رحلتا الصيف والشتاء

هي ..

الصقيع يتخللني، ارتديت ملابسي كلَّها، أشعر بالبرد، أطير مع الهواء، هل صرت من الوهن حتى يحملني الهواء معه؟

– هل ستأتي غدًا؟

أخبرني أنَّه قادم، ارتديت أجمل ملابسي وانتظرته، لم يأتِ، أرسل لي برقيَّة، قال فيها: "انتظريني بعد الصيف القادم".

***

هو..

لا شيء إلا سماء وماء، موتى يموتون، وأطفال يولدون، وعروسي الحسناء يتخضب شعرها باللون الأبيض. في عودتي الأولى عددت في رأسها شعرتين باللون الأبيض. في عودتي الثانية صارت الشعرتان عشرًا.

وعدتها أن أعود قريباً، عامًا آخروأعود.

ابتسمت من وراء دموعها، وقالت: سأنتظرك.

أراها في أحلامي، تأتيني وعلى رأسها غطاء، حين أنزعه أجد رأسها صار كالسماء في نهار الشتاء، أستيقظ فزعًا..

***

هى..

أحبُّ الأزرق، أرتديه عند المساء. ابتسم حين رآني، أعطاني قلادة زهريّة اللون، تحمل لوحة منقوشة بألوان من الفاكهة؛ تفاح ومانجو وموز، حتَّى الخوخ والبطيخ كانت هناك.

عند الفجر بحثت عنه، لم أجده، بحثت في كلِّ مكان، لقد رحل، خلعت فستاني وقلادتي الزهريَّة، كانت ممسوحة تمامًا، ووجدت ورقة مكتوب عليها "انتظريني بعد الخريف القادم".

****

هو..

أحبُّ البحر كثيرًا، سعيت للعمل على السفن وأنا أحلم بأيَّام من المغامرات، عملت عامًا، ثمَّ عامًا وعامًا؛ حتَّى صار العمر كلُّه بحرًا واسعًا، وسماءً عظيمة وسفينة. لا فصول في هذا العمر، فقط سماء بيضاء حزينة، وبحر هائج، وسفينة تتشبَّث بالماء وهي تترنح.

أو سماء زرقاء، وشمس ضاحكة، وقمر في الليالي مضيء، وسفينة نائمة على صدر الماء.

هى..

نفس البرد الذي يطوق جسدي والوهن الشديد والرغبة في البكاء، هطل المطر بكثافة، انتظرته طويلاً، لكنَّه لم يأت أبدًا، حتَّى بعد انقضاء الشتاء.

ميكي وذيله القصير

- ليه الملايكة عريانين؟!

سألت أمها باستحياء، فضحكت وقبَّلتها.

- بلاش لماضه يللا عشان تنامي.

نظرت إلى صور الملائكة الصغار السابحين في سماء غرفتها الزرقاء، تخيَّلت أنَّهم يصطفون في صفٍّ طويل،وأمُّها واقفة تلبسهم ملابس ملوَّنة.

***

قسَّمت أمها شعرها قسمين، ضفرت كلَّ قسم ضفيرة رفيعة جدًّا، وأحكمته بشريطة حمراء صنعت منها "فيونكة" صغيرة. نظرت لها في فستانها القصير وضفائرها الذهبيَّة، قالت لها بفخر: أنتِ جميلة شبه "أنّا شويكار" الله يرحمها أكملت نفس الكلمات التي كانت تدفع الصغيرة إلى الابتسام بزهو:

- "أنّا شويكار" كانت تركيَّة بجد، هانم بيضه وسمينة وشعرها جدايل دهب، لحد ما ماتت ما كانش عندها ولا شعرة بيضه.

***

تحبُّ أباها، كلما جاء من السفر كان يحمل لها لعبًا كثيرة، وكميات من الشيكولاتة والفندام والحلوى المسكرة. يأخذها يوم الجمعة إلى السينما في

الفترة الصباحيَّة؛ فيلم لميكي ماوس كان يركب قاربًا في البحر، يجدف ويغنّي بصوته الجميل المضحك.

- أنا عايزة ميكي.

قالتها وهي تغادر السينما، وعدها عندما يسافر في المرة القادمة سيحضر ميكي معه.

***

- عارفه جبتلك إيه معايا؟

جرت عليه، تعلَّقت برقبته: أكيد ميكي، بحبَّك قوي يا بابا.

أخرجه من حقيبة ملوَّنة، أمسكه بين يديه، حاول أن يقلِّد صوته؛ ضحكت.

كان يشبه ميكي الذي رأته في السينما؛ لكنَّه ليس هو، قلَّبته بين يديها، كائن إسفنجي ضاحك الوجه، أدارته، وجدت هذا الشيء الأسود المتدلي منه، صرخت ورمته على الأرض، جرت على أمها وهي تبكي: إلحقي يا ماما ميكي له ديل!

***

بعد عشر سنوات ولد أشرف، نام على سريرها القديم، كانت أمها تهدهده وتغنّي له أغانيها المفضَّلة، كانت تشاركها في هزِّ الفراش هزَّات رقيقة حتَّى ينام، اللعب الصغيرة المعلَّقة فوق الفراش تصدر موسيقى خافتة تملأ عينيها نعاسًا.

***

أشرف في العاشرة. تتجاهله فهو طفل أما هي فقد أصبحت شابَّة جميلة، تطلق شعرها للرياح، ترتدي البنطال الضيِّق والبادي ذا الياقة الملوَّنة وتذهب إلى النادي كلَّ يوم. لها أصدقاء كثيرون ينقضي وقتهم كلُّه في اللعب والضحك.

في مشهد أبيض وأسود رأته:

- اسمه أكرم، كابتن أكرم مدرب التنس.

قالت لها سهير صديقتها الحميمة هذه الكلمة، عندما رأت عينيها وقد ثبتت على عينيه، ابتسم لها.

عرفتهما: نادية، كابتن أكرم.

"كابتن أكرم، نادية".

ابتسم قائلاً: عضوة جديدة؟

- لأ، بس كنت مسافرة.

- فين يا ترى؟

أجبت وعيناي تبتلع عينيه: في العزبة.

ألتقيا كثيرًا، ما عادا يفترقان، أصبحا حديث النادي، لم تكترث لذلك، كانت تعلم أن كلَّ فتاة في النادي تتمنَّى أن تكون حبيبته، وكلُّ شاب يغار منه لأنَّه حظي بحبِّها دونهم.

مرَّ عام وأيديهما متعانقة طوال الوقت، طلبت منه أن يتقدَّم لخطبتها، فعل. ولكن بالطبع مثل كلّ الأفلام العربية الأبيض وأسود – رفض أبوها حتَّى أن يقابله؛ فهو ليس من عائلة ارستقراطية لها جذور تركيِّة مثلها، وبالطبع ثارت وغضبت وحاولت الهرب.

ذهبت إليه في بيته، سعد بقدومها، احتضنها وأمطرها بالقبلات، كانت أسعد لحظات عمرها، أصبحت على فراشه. سماء غرفته خالية من الملائكة، تجرَّد من ملابسه؛ فزعت، ضاعت قشعريرة جسدها، هربت.

***

بحثت عن ميكي في الصندرة، أخرجته، تأمَّلت ذيله وضحكت، ثم بكت، من بعدها كانت تنام وتضع ميكي بجوارها، ظلَّت هذه عادتها حتَّى الموت.

جلست على فراشها ، وميكي بين يديها..

((سافر أكرم، انقطعت الصلة بينهما تمامًا، كبر أشرف، تزوَّج من امرأة أجنبيِّة، انجبت له ولدًا جميلاً، تركته مع أشرف وغادرت إلى بلدها، أصرَّت نادية أن يسمُّوه أكرم.

الفيلا واسعة، خاوية، صوت أم كلثوم يتردد في أنحائها ليل نهار، تجلس على كرسيها الهزَّاز، تتذكر حبيبها تتذكر اللحظات التي كانت معه في بيته، يقشعرُّ

جسدها، ربَّما هي منَّة من الله؛ حلم يظلُّ في مخيِّلتها عن لحظات عاشتها مع رجل (أستغفر الله العظيم) تستغفر ولكنَّها تعود وتتذكره مرة أخرى.

تتذكر صغيرها أكرم؛ سافر في شهر العسل، تنهَّد، الحياة ليس لها طعم بدونه، اختارت له عروسًا جميلة ذات حسب ونسب، كانت سعيدة يوم عرسه، لم تحضر أعراسًا منذ أمد بعيد؛ تتجنب أعين الناس المتسائلة، جميلة وغنيّة لماذا لم تتزوج؟!

فاكر آخر مرَّة حكيت لك حدوتة؟ وضعت رأسه على صدرها، يومها قولتلي أنا كبرت يا "عمتو".
بالكاد ابتسم، ضمَّت وجهه المنهك، ربتت على رأسه، غنَّت أغنيَّته المفضَّلة، هدهدته حتَّى نام.

سقطت دموعها على وجه أكرم المنهك من المرض، ظلَّ أسبوعًا لا يستطيع النوم بسبب الآلام، لم يستمرّ ألمه طويلاً، مات أكرم، ولم تمرّ إلا أيَّام قليلة حتى لحقته. وجدوا وصيتها بجوار ميكي على فراشها "أريد أن أدفن مع أكرم".

الفيلا الآن جزء من الطريق العمومي الواسع، وميكي موجود في يد صغيرة لحفيدة عمّ نسيم السفرجي – بس من غير ديل، ما هي نادية قطعته من زمان – وهناك تحت السماء الزرقاء التي تعجُّ بالملائكة، كان هناك نبات صبّار ينمو على قبر رخامي مكتوب عليه: "هنا دفنت نادية أم أكرم")).

استيقظت لتجد ميكي على الأرض، نظرت إلى سماء الغرفة، ما زالت الملائكة تسبح فيها، هزَّت رأسها لتخرج بقايا الحلم الكئيب من رأسها، جرت إلى غرفة المكتب في الطابق السفلي، رفعت سماعة الهاتف وكلمت أكرم:

- أكرم، عندك استعداد نتجوز دلوقتي حالاً؟

أنهت المكالمة، نظرت لصورة أبيها المعلَّقة على الحائط بشاربه المنمق، ونظرته الحادة:

- عارفة إنك هتزعل مني شوية، بس معلش، هبقى أصالحك ده أسهل بكثير من تكملة الفيلم اللي شوفته في الحلم.

هلوسات جسد

استيقظت عند الفجر، لم تنم منذ ثلاثين سنة كما نامت الليلة، لكن الألم عاودها. تورَّم أصبعها مرَّة أخرى.

حاولت إخراجها بسكين صغير، بالكمَّاشة، بأسنانها؛ لكنَّها لم تستطع. بكت، صرخت، تجمَّع الجيران على صوتها، اعتادوا على صراخها، لم يلقوا له بالاً من قبل؛ لكنَّهم اليوم ظنّوا أنَّ الشيخ مات.

- يا حاجة قلت لك قبل كده لازم تتقطع.

ارتعشت وهي تقول: لأ ماينفعشي، سي الشيخ يزعل.

تحت وطأة الألم تركت الصائغ يكسر دبلتها العتيقة ليحرر أصبعها المتورّم.

***

ذهبت إليه، نائم وسط أسلاك وأنابيب تخترق جسده، يخور بصوت مكتوم، خبَّأت يدها أسفل غطاء رأسها الطويل المتدلّي على صدرها وجلست تنتظر.

***

كانت عروسًا صغيرة، قزمة بجواره، وضعت أمُّها فوق مقعدها عددًا من الوسائد لتظهر أطول، سعيدة بفستانها الأبيض وبالشموع التي تحملها أختها

الصغيرة، تغيظها بنظرة من طرف عينيها، فهي لا تجلس على كرسيٍّ مرتفع مثلها، ولا يغنّي لها أحد.

أغلق الباب، دخل الحمام، ارتدت قميصًا أبيض قصيرًا "كما قالت أمها"، وجلست على طرف السرير "كما قالت أمها"، جاء إليها "كما قالت أمها"، صرخت، ضربها، صرخت بصوت أعلى. لم تستطع الهدوء "كما قالت أمها"!

في الصباح جاءت أمُّها، كانت الغرفة كلّها دليلاً على براءتها؛ الدماء غطَّت كلَّ المساحات البيضاء في الغرفة.

***

- الشيخ عامل أيه دلوقتي؟ ألف سلامة عليه.
- الحمد لله، ادعي له.

ردَّت على جارها بصوت خفيض دون أن ترفع عينيها إلى وجهه.

***

جلس يدخِّن النرجيلة وصوت أم كلثوم يتردد من الراديو (حيَّرت قلبي معاك وانا بداري وأخبي ..). كانت تغزل فستانًا من التريكو الأزرق لطفلها المنتظر.

ترك النرجيلة فجأة وقال: شامّة الريحة دي؟

- ريحة الدخان.

قال بعصبية: لأ ريحة.. ريحة بخور. يمكن فلّ، أو نعناع، مش عارف.

لم تجب.

نظر إليها بعيون جاحظة.

صرخت: مالك يا سي الشيخ؟ مالك؟

تصلَّبت يده اليمنى وهو يشير إليها، صرخ صرخات مخنوقة، سقطت نرجيلته على الأرض، تشنَّجت عضلات وجهه وجسده، ارتطم بالأرض وظلَّ ينتفض كمن يخرج في الروح.

صرخت وارتعشت وهي تتابعه. ظنَّت أنَّه يموت.

هدأ جسده فجأة، قام، مسح الزبد الذي على فمه بطرف جلبابه، نظر إليها نظرة ارتعشت لها مفاصلها، هاج، صرخ، ركل النرجيلة بقدمه، كسر الزجاجات التي فوق المنضدة، قذف المرآة بأحد الأكواب فتحطَّمت قطعًا صغيرة.

سقطت إبرة التريكو من يدها، وطأ خيطها الأزرق بقدمه، جذبها من شعرها، انهال عليها ضربًا حتّى غابت عن الوعي. استيقظت لتجد الحكيمة عند رأسها، قالت لها: "ربّنا يعوَّض عليكي، الولد مات". بكت، قالت لأمها: كنت حاسة إنّه ولد.

***

تسمع صوت صرخاته المكتومة، اختبأت في غرفتها. صوت الزجاج المتكسِّر، الأطباق المتطايرة، اختبأت خلف الباب وهي ترتعش.

ظلَّ يدقّ على الباب بعنف حتَّى هدأ.

***

جالسة على الكرسي أمامه، صوت صفير متقطِّع يصدر عن الأجهزة المحيطة به، يملأ فراغ الغرفة حولها، دموع عينيها تهبط صامتة، وفمها يردد آيات قرآنية.

رأت نفسها تقطِّع كلَّ الأنابيب التي تمدُّه بالحياة، تمنَّت أن تخرج الأنبوب المتصل بأنفه فلا تسمع صوت أنفاسه المكتومة.

سمعت صوت الممرضة، وهي تغطي وجهه وتقول: البقيَّة في حياتك يا حاجة.

(3)

تفرُّد

تستهويني العيون، كلما وجدت ورقة خططت عليها عينًا جميلة، هي دائمًا نفس العين التي أراها في أحلامي، عين كبيرة تنظر إليَّ من أعلى.

كانت هناك يوم ولدت، رأيتها تنظر إليَّ بحنان، رأتني وأنا أتكون من ذرَّات الماء، عظامًا، ثمَّ لحمًا، ثمَّ صرت أنا.

بيضاء، شفافَّة، رائقة جدًا حتَّى أن عظامي ودمي تظهر من خلف طبقة جلدى الرقيقة.

من الماء خلقت، لا أحد يعلم هذا الأمر غيري، حتَّى أمي تنكره، دُهِشت عندما قلت لها كأنها لم تكن هناك يومها!

وعدتها أن يظلَّ الأمر سرًا كما أرادت، لا أحد يعلم يا أمي، لكنني كنت أتمنَّى أن نتكلَّم أنا وأنتِ، لماذا كنتِ دائمًا تهربين من الحديث عن هذا الأمر؟!

رحمكِ الله يا أمي، رأيتها بالأمس، جاءتني في الحلم لأجدّد لها الوعد ألا أخبر أحدًا.

***

سارت بمحاذاة الشاطئ، اقتربت من الماء، كيف تخشى البحر وهي بعض منه؟

استلقت على مائه، تعلو مع أمواجه وتهبط، والعين هناك تراقبها، تشعر بذلك برغم أنها لا تراها. أغمضت عينيها..

سالت ماءً رائقًا، صارت قطرات من البحر العظيم.

متاهات البعد

كنَّا صغارًا نلعب في صحن الدار، نجرى، تلهج أنفاسنا بالضحك والصخب، أمسك بكِ، تقعين، ترتفع عباءتكِ القصيرة، تظهر ربلتكِ اللدنة، قدمكِ النظيفة، تضربين بها الرمال الساخنة فتتطاير في وجهي.

كبر بدر، غادر البلدة، وبقيت زين تلعب في المتاهة.

(في المتاهة دائمًا ثلاثة طرق:

الأول: طويل مظلم، رائحته عطنة من تراكم المياه على تربته واختلاطها بمياه المجاري.

والثاني: طويل أيضًا، لكن النور يتلألأ فيه حتَّى أنَّها ترى نهايته ولا ترى معالمه القريبة بوضوح.

والثالث: طريق لا ترى فيه غير فراشات ساحرة الألوان، تنبعث منه رائحة نرجس وفلّ وفاكهة شتَّى، ولكن لا ترى له أرضًا. فقط سماء تحمل الفراشات. احتارت زين في أي الطرق تسير، خافت من الطريق المظلم فلم تقربه؛ تخاف الظلام بلا شك.

وخافت من طريق الفراشات برغم رائحته الجميلة، فربَّما تكون الفراشات متوحشة فتهجم عليها، أو تلتصق بوجهها، فكيف تمشي في طريق لا ترى أرضه؟!

اختارت الطريق الثاني، برغم أن النور سيؤذي عينيها إلا أنَّه لا اختيار رابع أمامها.

مشت زين كثيرًا حتى أُجهدت، تنظر يمينًا ويسارًا، فيلمع ضوء ما في عينيها فتغمضهما، تسير قليلاً وهي مغمضة العينين، ثمَّ تفتحهما لتعاود الكرَّة مرَّة أخرى.

لا تعرف إلى أين أخذتها قدماها، لكنَّها شمَّت رائحة خوخ وبرتقال وفلّ، وسمعت صوت أزيز رائق، وشعرت بهواء خفيف يلمسها، يبعدها عن الأرض، يرفعها في الهواء، تطير بجناحات من آلاف الفراشات تعلَّقت بظهرها.

أخذتها المتاهة إلى الطريق الثالث، لم تكن الفراشات متوحشة، استمتعت زين بالرقص في الهواء مع الفراشات، لمست بيديها أشجار الفاكهة، امتلأ جسدها بروائحها الجميلة، علقت على إحدى الأشجار ونامت فوق غصنها، تتوسَّد أوراقها وتتغطى بزهورها وتتغنَّى بطيورها.

حلمت زين أنَّها تكمل المتاهة نائمة على غضن الشجرة، إذ ألقتها الشجرة غاضبة من شيء لا تعرفه، ربَّما لأنَّها سرقت وقتًا أطول في نوم طال على

غصن الشجرة، لا تعرف، فقط رأت نفسها تقع على الأرض بعد أن تركتها الفراشات فلم يعد لها أجنحة.

غاصت زين في ماء أسن، سدَّت أنفها. رائحة عطنة. تلوَّن فستانها الأبيض بطين لزج، هي في قاع أسود، تهبط بجسدها وروحها تحاول الهروب منها إلى الأعلى، دخلت في نزاع مع روحها، انشقت الأخيرة عنها، استلا سيفين، تحاربا. تريد أن تستردَّها إلى جسدها وهي ترفض وتحاول الهروب. تعبت زين كثيرًا، بكت كثيرًا، استعطفت روحها ألا تتركها وترحل).

تحرّكت المؤشرات على الشاشة بجوار فراشها، ترتفع قليلاً قليلاً ومعها أنفاسها تعلو وتهبط، تحرّكت أصابع يدها، تحرّكت أجفانها، أقسم بدر أنّه رأى ذلك؛ جرى إلى الطبيب ودموع تملأ عينيه.

قال: إنَّها تتحرَّك.

وضع يده على كتفها، قال وهو يهزُّها: زين زين، عدت لنكون معًا، استيقظي حبيبتي، انتظرتيني لأعود حتَّى ترحلي!

قال الطبيب: رفقًا بها.

خرج بدر من غرفة العناية المركَّزة، تابع من وراء زجاجها الشفاف الطبيب وهو يرعى "زين"، لأول مرَّة منذ شهر يدبُّ الأمل في قلبه، فزين تتحرك، لم

يحتمل قلبها المسكين خبر عودته بعد إحدى عشرة سنة من الغياب، فدخل جسدها في غيبوبة إثر جلطة. لماذا انتظرت إذًا؟ لتستقبله بموتها! قالوا له إنَّها استسلمت لوحدتها، أحبَّته؟. ربَّما، وقد يكون العرف هو الذي قيَّدها به، ففي بلدها البدويَّة يمنع العرف أن تكون لغيره؛ فهو ابن عمها وخطيبها منذ الميلاد.

حين همَّ بالسفر، أرسلت له ورقة صغيرة أملتها على أخيها الصغير ليكتبها؛ فهي لا تعرف الكتابة، فيها:

- لماذا تُقدِّر قبل الرحيل رحيلاً أخر بالبعد؟

لم يفهم ما كتبت، ولم يهتمّ، قال وقتها: هما عامان فقط أو أربعة، أكمل دراستي وأعود. صارت الأعوام أحد عشر عامًا، ولم يعِ، صار له زوجة وأولاد في بلده الجديد فلماذا يعود؟

اضطر للعودة حين علم بخبر وفاة أبيه، فعاد سريعًا ليتلقَّى العزاء، يومها فقط تذكَّر "زين".

(زين وجدت بدرًا يجلس على شاطئ نهر يتلألأ ماؤه تحت الشمس، سارت إليه، جلست بجواره، لم تتكلَّم، طبعت قبلة على يده ووقفت، رفعت كفيها إلى السماء فتجمعت آلاف الفراشات حول جسدها ليكونوا جناحين كبيرين في ظهرها، ارتفعت زين، طارت وطارت حتَّى اختفت في السماء).

لا مساس

قفز عقرب الساعة مشيرًا إلى الثامنة صباحًا، وقفت تضع "رتوش" قليلة على وجهها لتصبح مقبولة ولو قليلاً "بالطبع لا تطمح إلى الجمال". يجري عقرب الدقائق عشر دقائق كاملة، جرت مسرعة إلى الباب، تذكَّرت ساعة يدها فعادت بسرعة إلى غرفتها. بعثرت محتويات الكومدينو لتخرجها من وسط أشياء كثيرة أكثرها ليس له قيمة "بعض الأكسسوارت المكسورة، قصاصات من جرائد صفراء، أقلام فارغة، أزرار، رابطات شعر قديمة إلخ"، تحبُّ اقتناء الساعات برغم أنَّها تُخرج منها حجارتها لتوقفها عن الحركة.

تركت الغرفة في فوضى توحي بأنَّها تعرضت للتفتيش من قبل جهة أمنية، جرت مسرعة تهبط درجات السلم، وتقطع الطريق المؤدي إلى محطة القطار، هواء الصباح البارد لطم وجهها بشدَّة، بحثت في جيوب معطفها عن المناديل الورقية لتخفي القطرات التي بدأت تسيل من أنفها، أحدثت صوتًا عاليًا وهي تمسح أنفها الأحمر، وقالت كأنَّها تخاطب أحدًا: "جيوب أنفيَّة".

وصلت محطَّة القطار وعقرب الدقائق في ساعة المحطَّة يشير إلى الثامنة والثلث، ليس هناك قطار، حدثت نفسها بصوت مسموع: "يا ربّ أعمل أيه، أستنى القطر وألا أروح أركب مشروع، يا ربّ دبّرني، هتأخرتاني، يا ربِّي خصم وبهدلة والمرتب مش ناقص".

نفخت الهواء من صدرها وسارت خمس دقائق أخرى تقطع المحطة جيئة وذهابًا، ثم قررت الرحيل لتركب ميكروباص.

جلست بجوار الشباك، أغلقته حتى لا يبطش الهواء بأنفها مرَّة أخرى، جلست بجوارها امرأة عشرينية سمينة، التصقت بها – تكره ذلك – فبدأ صوت تنفُّسها يعلو، وضربات قلبها تضطرب، التصقت بالشبَّاك، فتحته، قربت على القفز منه، ارتفعت درجة حرارتها برغم برودة الهواء.

- لو سمحتِ شوية كده قالتها وهي تنهج.

نظرت لها الفتاة باستنكار ولم تبالِ بها.

حدَّثت نفسها: "أعمل إيه دلوقتي، يعني أنزل، هتأخر، أضربها، أزقَّها، مش قادرة أتنفس".

لمس أحدهم كتفها ليعطيها الأجرة ولتعطيها بدورها للسائق، صرخت:

- لو سمحت مش كده.

جاءها صوت خشن: "هو أنا جيت جانبك، يعني أنطّ من فوقك عشان أوصل للسواق؟!".

ارتعبت، قررت النزول، وأكملت الطريق سيرًا حتى الشركة. نزلت، وقفت في الشارع لتخرج عبوة ديتول كبيرة من حقيبتها، رشَّت منها على ملابسها، أكثرت منه على كتفها الذي لمسه الرجل بأطراف أصابعه.

الساعة تجاوزت الثامنة والنصف، تأخَّرت بالفعل، سمعت صوت القطار، دخل المحطَّة التي أمام الشركة وهي ما زالت في أول الطريق، أمامها طريق قد تقطعه في عشر دقائق على الأقل إن أسرعت المشي..

أسرعت لاهثة وهي تنفخ الهواء، وتقول محدّثة نفسها وهي لا تقوى على فتح فمها:

- "ما هو عشان ربنا ما بيحبنيش، لو كان بيحبني كان خلاني استنى القطر، أنا عارفة لو كان بيحبني كان خلاني اسكن قريب من الشغل، بس ما بيحبنيش، ما هو لو كان بيحبني كان خلاني اتجوزته، ما هو عشان ما بيحبنيش خلاني قرفت منه لما باسني وقعدت أرجع. يا ربّ لو كنت بتحبني ما كنتش خلتني اتاخرت، أديني اتاخرت، الساعة زمانها تسعة دلوقتي".

انعطفت في طريق جانبي، صرخت بلا صوت من شدَّة الفزع، ارتعبت، ارتعشت فرائصها، لقد ظهر أمامها فجأة الرجل المجذوب - الذي يقطن الشارع - ذو اللحية الكثَّة، والرائحة العفنة بمنظره المخيف ووجهه الملطَّخ بالسواد.

توقفت لحظة واحدة، لم تتسع هذه اللحظة للتفكير أو التصرف، لكنه جاوزها وسار مبتعدًا، بعد أن التقت أعينهما، التقطت أنفاسها الهاربة، حركت أقدامها المرتعشة، جرت بسرعة حتّى باب الشركة وهي تردّد بفرح: "الحمد لله ما لمسنيش".

فينوس تهبط من السماء

يا للسماء! ما أجملها اليوم! زرقتها أصفى من كلِّ يوم، كانت عيناها بلون السماء، وجسدها الممشوق عاجي اللون، وشعرها يضوي بلون الذهب مجنونًا يسافر فوق ظهرها، ما أحلاكِ يا فينوس، ما أجمل شفتيك الساحرتين المطليتين شغفًا، تدعوان بجرأة كلَّ العشاق إلى مأدبة جسدك الفتَّان.

- فينوس يا إلهة الجمال والحبّ، تعالي إليَّ، اقبلي وامتعي فؤادي المنتظر ألف سنة لينال لحظة في محراب هواكِ.

فينوس الجميلة تعشق كلمات الغزل، تطربها، تجعلها أكثر جمالاً، ولكنَّ قلبها لا يهيم حبًّا بأحد، ملَّت الفاتنة من آلهة الأولمب السذج، من رؤية عيونهم الجائعة إلى جسدها، تثقب أعينهم جلدها وتفيض إلى شفافية روحها فتلوثها، فتنفر منهم أكثر برغم عبثها الدائم.

ها هي تعربد مع العشَّاق حتى ضجَّت صخور الأولمب من عبثها، وتأفف زيوس من شكوى الآلهة من طيشها، استيقظت فينوس يومًا، وقلبها يملؤه الضجر والحزن، فخرجت من فورها سابحة في السماء، تلهو مع النجوم والأقمار، وما ذهب عنها الضجر، ملَّت اللعب كما ملَّت العشاق. قررت أن تغادر

الأولمب، تهبط الأرض تسبح في مائها، وتجري على عشبها، تلعب مع حيوانات الغابة، تسرق بعض السكينة من زخم الحياة، لعلَّها تروِّح عن نفسها قليلاً.

وضعت فينوس قدمها على الأرض، رآها كثيرون، بهرتهم بفتنتها، فسجدوا تحت أقدامها، تأفَّفت، هربت منهم، دارت في الأفلاك باحثة عن زمن آخر لا يعرفها فيه أحد.

مرَّت عبر الأزمان، رأت أحداثًا وأشخاصًا، تُبني فوق الأرض بنايات ويأتي زمن آخر يهدمها، وتنبت أرض ويمرُّ زمان يقتلع خضرتها فتصير صحراء جرداء.

تعبت فينوس من اللعب مع الزمان، فهبطت على الأرض في نقطة من زمن ما.

- آه..

تأوَّهت حين لمست قدمها الصخور فجرحت جلدها الرقيق.

- كم أنتِ قاسية أيَّتها الأرض، لكِ دروب شتَّى، برغم قسوة حجارتك إلا أنَّها تتشقق عن ماء عذب، وتنبت في جنباتك جنات من زهور.

ابتسمت فينوس وهي تفتح ذراعيها لنسيم الأرض، اقتربت من نهر ماؤه رائق في بقعة خالية لم تلمح فيها أحدًا، خلعت رداءها وقفزت في الماء تسبح مع أسماكه الكثيرة اللاتي فطن إلى حقيقتها فتجمعن حولها يرقصن وهي وسطهن تتمايل في عذوبة، ظلَّت على حالها ترقص معهن حتى سمعت صوتًا رائقًا أكثر من ماء النهر:

- إلهي، أبانا الذي في السماء، يا خالق هذا الجدول، يا باعث النور في البرايا، يا ربَّ يوحنا وبولس وكلِّ الأطهار، ساعدني، مدّ إليَّ يداك، لا تخذلني، لا تتركني أضيع على الأرض، خذني إلى عليائك.

سمعت فينوس مناجاة الشاب؛ كلماته الممزوجة بدموعه، لم يُناجِها أحد بمثل كلماته التي يناجي بها ربَّه، تفرَّست في ملامحه حيث يجلس على ركبتيه متطلعًا إلى السماء، عيونه بارزة سوداء جذابة، تفيض سحرًا، تلمع كالأقمار في ظلمات الليل، ضامر الوجنتين، قمحيَّ الوجه، خضَّبته الشمس فزادته سحرًا، جسده نحيل، وبرغم نحولته الشديدة وضعفه الملحوظ إلا أنَّه وقع في قلبها موقعًا ما. سبحت تجاهه، خرجت أمامه بجسدها العاري، انتفض الشاب فور رؤيتها، هبَّ واقفًا، وجرى مبتعدًا.

ذهلت فينوس، ضحكت منه: "يا لك من أحمق، لِمَ تهرب هكذا؟!".

وضعت فينوس ثيابها وغطَّت وجهها بغطاء شفاف يخفي بعضًا من فتنتها المتَّقدة، ذهبت تبحث عن فتاها وجدته يسكن أمام الجدول في كنيسة صغيرة يتولَّى خدمتها، اقتربت أكثر، كان يبتسم برقَّة لكلِّ من يتقدَّم منه، يدعونه: "الأب آريك" – أعجبها اسمه – يحيي الجميع، يمسح على رؤوسهم، يسمع لهم ولا يتوانى عن خدمتهم.

اقتربت منه بخجل مصطنع، ابتسم لها: ما بكِ يا فتاة؟

اقتربت ببطء، قال: تقدمي، ما حاجتكِ؟

قالت بصوت يقطرعذوبة: أريد أن أقول لك سرًا.

أخذها بعيدًا عن الناس، كشفت عن وجهها، أشاح بعينيه بعيدًا عن فتنتها، قال وهو مطأطئ رأسه:

- ماذا أستطيع أن أقدم لكِ؟

قالت بنعومة: أنت.

اضطربت رموش عينيه، ودارت عيناه في رأسه قائلاً بصوت مرتعش: ماذا؟!

قالت هامسة: أريدك.

تعلَّقت برقبته وقالت: أحبُّك.

ارتعش أكثر، أبعدها عنه وقال:

- ليمجدكِ الربُّ، اذهبي عني، اذهبي.

ابتعد مسرعًا من أمامها؛ اغتاظت فينوس، لأوَّل مرَّة يرفضها أحدهم، العشَّاق كثيرون حولها من سادة الأولمب إلى شحاذي الشوارع، ما به هذا الأحمق، ألا يعجبه جمالها؟!

ثارت فينوس، هاجت وتوعدته بالعذاب، خرجت تركل الأرض بقدميها، جلست على صخرة عالية أمام الماء، نظرت لصورتها المنطبعة على صفحته،

فرأت وجهه يظهر في الماء، ما أجمله، هدأت ثورتها وهي تلمح عينيه الحالمتين واسعتي الأحداق، وضعت يدها تلمس وجهه في الماء، فاهتزَّ الماء وتلاشت صورته.

- ما هذا يا فينوس، أين ثورتكِ؟ إنَّكِ تحبينه، إنّه الحبُّ، إلهة الحبِّ تقع في الحبِّ من هذا الضعيف، يا للجنون! أحبُّ هذا الأحمق الذي لا يريد النساء.

لم تيأس فينوس من آريك، ذهبت له مرَّة ومرَّات، تناجيه مرة وتعنِّفه أخرى، وهو يهرب منها، وفي كلِّ مرَّة يرتجف حين يراها.

ذهبت إلى مخدعه، انتظرته طويلاً حتَّى أنهى موعظته ولقاءه مع الناس وصلاته الطويلة، ثمَّ دلف أخيرًا إلى غرفته ليجدها أمامه، سجد على الأرض، شبك بين يديه ورفعهما إلى السماء، لهج قائلاً:

- يسوع، ساعدني ساعدني.

لمست كتفه، وهزَّته: توقَّف عن هذا، إنّي أحبُّك، ألا أعجبك! أليس لك حاجة بالنساء؟!

قال من وسط دموعه:

- مالي وهن، إنّي راهب تركت الدنيا وجئت هنا لأخدم كنيسة الربّ.

- يا أحمق توقَّف عن هذا الهراء، اخدم من شئت، لكن خذني معك. إنَّ آلهة السماء جميعًا لا تمنع الزواج.

قال بضعف:

- أي زواج؟! إنَّه الدناسة التي يتطهر منها خاصَّة الربِّ وخدَّامه، مات المسيح ولم يقرب امرأة.

جلست بجواره على الأرض، امتلأت عيناها بالدموع، وقالت برقَّة وهي تحتضن ظهره:

- لكني أحبُّك، ما الضير في أن أكون معك، إني تركت الأولمب والعشاق في كلِّ الأزمان وجئتك، ألا يكفيك هذا. اقتربت من وجهه، أدارته بيدها ليواجهها بعينيه الحزينتين، نظر في عينيها، اقتربت بفمها من فمه، ارتجف وهبَّ واقفًا، وخرج مسرعًا من الغرفة.

الحسرة تأكل أحشاء فينوس الجميلة، بكت، لم ترَ نفسها باكية من قبل، تضرَّعت باسم زيوس، وكلِّ آلهة الأولمب أن تطفئ هذه النار التي في صدرها.

سارت بمحاذاة الجدول منكَّسة الرأس، غارقة في حزنها وفكرها المشوش:

- لو لم يمت المسيح، لو لم يصلب، لو إنَّه فقط صعد إلى السماء من غير أن تقام هذه المسرحية الهزليَّة، ما يضير الربَّ لو أن المسيح صعد إلى السماء من غير كلِّ هذا؟! الجميع يتفق أنَّه صعد إلى السماء. لماذا إذًا جاءت هذه اللحظة التي صُلب فيها؛ فقط ليدبَّ الخلاف بين أهل الديانات جميعًا؛ صُلب، لم يُصلب. صعد لم، يصعد. آهٍ لو لم يأتِ من يدعو إلى الرهبانيَّة لكنت الآن أتمتع بحضن آريك الدافئ.

حاولت فينوس مرَّة أخرى، جاءت إلى الأب آريك في مخدعه ليلاً، أخذته من يده وهو مسلوب الإرادة، طارت به إلى السماء، دارت به حول الكواكب، أرته القمر من بعيد وهو ينير السماء، اقتربا منه حتى رأى ظلمته الحقيقيَّة.

أخذته في رحلة عبر الزمان، نظر إلى أحوال الناس المختلفة؛ رأى كهنة وأنبياء، رأى عبَّادًا وفسَّاقًا، عبادًا للشمس، وعبادًا للنار، وآخرون يعبدون النجوم، والبعض يعبد الأصنام.

رأى زرادشت، وبوذا، ورأى نوحاً وهو يبني فلكه، والمسيح وهو يحيي الموتى، ومحمدًا وهو يهدم الأصنام، الكلُّ يمجِّد إلهه بطريقة ما.

عاد آريك إلى مخدعه وهو يرجف، جلست فينوس بجواره، رأسه محموم، لم يحتمل رحلتها أو ربَّما لم يحتمل حبَّها.

بكت فينوس، سقطت دموعها على خدِّه، قالت له من بين نهنهة البكاء:

- ابق معي آريك، خذني بين يديك في هذه اللحظة، إنَّ العمر يضيع، عمر الإنسان يهلك مثل فرشاة الأسنان حين تُهلك أمشطتها من كثرة الاستعمال. أوَّاه، إنَّك لا تعرف هذا، ولا تعرف لوعة الحبِّ وشقاءه.

لم ينبس ببنت شفة؛ فقط عيون حزينة، وشبه ابتسامة على وجه عليل.

رفعت فينوس يدها إلى السماء:

- أيُّها الربُّ الذي في السماء، أعلم أنَّك تسمعني، أعلم أنَّك تُحبُّني برغم أنَّي أدعو زيوس ربًّا، أعلم أنَّك تدعوني لمحرابك.

- أيُّها الربُّ ارحم ضعفي، وحبِّي لآريك، اجعله لي، آهٍ، يا لهذا القلب المجنون الذي يتقلَّب بين الضلوع، آهٍ من لوعتي وحزني..

بكت فينوس العاشقة حتَّى صارت دموعها نهرًا، سبح فيه جسد آريك الطاهر، وصعدت روحه إلى السماء.

وعادت شهرزاد تحكي

وحكت شهرزاد فتناثر من فمها الدرُّ. جمعت الجواري الدرَّ من أرض الحجرة. اكتفى شهريار بضبط وضع نظارته الطبية على عينيه وتثاءب.

قالت شهرزاد - بينما الجواري عكفن على ربط الدرَّ في خيط طويل - بلغني أيُّها الملك السعيد، ذو الرأي الرشيد، والقول السديد:

(أن الشجرة العجوز ظلَّت تبكي عشر ليالٍ، وفي كلِّ ليلة تسقط دموعها على الأرض فتصير بركة مائها في لون اللبن، وطعمها كطعم النعناع والقرفة والشاي الأخضر.

في نهاية العشر ليالٍ صمتت الشجرة العجوز، وكفَّت عن البكاء واكتفت بتحريك أغصانها مع الرياح. هبَّت الريح عنيفة، فاجتمعت البرك العشر في نهر طويل بدايته عند الشجرة ونهايته هناك في آخر الدنيا).

تثاءب شهريار واعتدل قائلاً: عزيزتي شهرزاد، فين المقصّ بتاع الضوافر؟

اجتمعت الجواري، اصطففن في صف واحد، تمايلن في رقصة بديعة، وضعن الدرَّ على الأرض، وقفزن واحدة بعد الأخرى في صدر شهرزاد، حيث اختبأن خائفات من مسرور السياف.

استمرت شهرزاد..

(جاء أهل القرية، سعدوا بوجود النهر، فقد جفَّت ترعة المحموديَّة منذ سنوات، وصارت القرية جدباء لا زرع فيها ولا ماء. وقف الجميع بعد ضرب الدفوف والغناء يختارون اسمًا يطلقونه على النهر، ذكرت أسماء كثيرة، ثم اختلفوا هل النهر ملكيَّة عامة أم ملكيَّة خاصَّة؟

الشيخ: هذا النهر لي، فقد دعوت الله أن يرزق القرية به.

العمدة: بل هو لي، ألم يظهر في عهدي؛ إذًا فهو لي.

صاحب الناي: بل هو لي، الشجرة لي، كم من أيام ولياليٍ قضيتها أعزف نغمات رقيقة تحت الشجرة.

الحطَّاب: بل هو لي، أنا من جعلت الشجرة تبكي حين قطعت فرعها الطويل الناظر إلى السماء.

شيخ الخفر: بل لي أنا، فأنا من أمرت الحطاب بقطع الفرع.

الفلاح: بل لي، فمن وضع بذرة الشجرة في الأرض غيري؟).

تعالى "شخير" شهريار، قامت شهرزاد، رفعت الحجاب من فوق رأسها، خلعت ملابسها، استلقت في حوض الاستحمام، أدارت الحنفيَّة بعد أن ضبطت السخَّان، لم يخرج من الصنبور ماءٌ، لقد نسيت أن الماء جفَّ بعد أن قرر حكماء القرية قطع الشجرة لينتهي الخلاف بين أهل القرية؛ فلمَّا قطعوها جفَّ النهر، وقام المحافظ برصف مجرى النهر طريقًا ليعبر عليه شهريار حين يريد أن يتفقَّد أحوال الرعيَّة.

غشاء حجري

-1-

الصوت يعلو، ترانيم تنبعث من الجدران، رائحة البخور تخنقها، تتقلَّب يمينًا ويسارًا، تلهث، تبكي، التمثال يترنَّح أمام عينيها. استيقظت، ما زال الصوت يعلو كأنَّه يخرج من رأسها. رأسها ستنفجر من الصداع. مشت في الظلام الكثيف، فتحت باب الحجرة.

رأت "ميلادًا" يجلس أمام غرفتها في يده كتاب "الأجبية" الصغير، يرددها بصوته الأجشّ، البخور يتصاعد أمام التمثال و"ماري" تشعل الشموع، صفّقت الباب بضجروتراجعت حيث الظلام.

جاء النهار أخيرًا وضعت "مكياج" كثيفًا، خرجت متأنِّقة؛ ستقابل أحدهم اليوم.

قبَّلها، احتضنها، ألقاها على الفراش.

- تقول "ماري" الحمقاء: في حياة كلّ امرأة رجلان فقط؛ تقصد ميلاد اللعين، والرجل الذي سيشاركها الإكليل يومًا.

ضاجعت عشرة رجال، في كلِّ مرَّة كانت ترى التمثال يظهر فوق من يعتليها، تغمض عينيها، تتمنَّى أن ترحل عنها حتَّى ينتهي الأمر، لكنَّه لم يحدث أبدًا، شيء ما يمنع الاكتمال. مازالت تحمل لقبها المقدَّس (ع ذ را ء)!

-2-

ميلاد يعشق هذه المقدَّسة، يضع صورها في كلِّ مكان، وتمثال كبير يواجه الباب. نحن ثلاث فتيات مُنحنا اسمها؛ الكبرى (مريام)، ثمَّ (ماري)، ثمَّ أنا (مريم).

أسمع اسمي يتردَّد في كلِّ مكان حتَّى في الشارع؛ ينطلق من المذياع، يتردَّد من مكبِّرات المساجد، هاجر صديقتي تقول إنها تحبُّني لأن اسمي (مريم)؛ فالمسلمون يحبونها أيضًا. إنَّها تطاردني بعباءتها الزرقاء، ووجهها الخجول. لماذا لا ترتدي عباءة حمراء؟! ضحك ميلاد حين سألته ثمَّ قال متجهِّمًا: لا أحبُّ الفتيات في اللون الأحمر.

صبغت غرفتي باللون الأحمر، وشعري كذلك. نهرني ميلاد وقال: ابنتي لا تخرج بلون العاهرات ومنعني من الخروج.

-3-

عندما نام الجميع تسلَّلت (مريم)، أخذت الطلاء الأحمر وصبغت به التمثال، رأتها تنظر إليها، تجاهلتها ولم تتوقف، رجعت بهدوء إلى حجرتها، فتحت النافذة وجلست على حافَّتها وترقَّبت شروق الشمس، وصوت ميلاد وطرقاته على الباب الموصد، وملمس الهواء لجسدها وأجنحتها الحمراء..

كابوس المساء

توارت الشمس قليلاً، أُغلقت بوابة المستشفى "بترابيس" عديدة. اتجه الطبيب لنوبته المعتادة، يمرُّ على عنابر المرضى، اقتربت الممرِّضة منه – وهو يتابع أحد المرضى – وقالت له بصوت خفيض:

- مريضة جديدة في غرفة الكشف.

دخل الطبيب الغرفة ليجد امرأة شاحبة الوجه، عيناها منتفختان من شدَّة البكاء. أمر الطبيب الممرِّضة أن تخلع عنها القميص الأصفر الذي يخنق يديها.

- ماذا بكِ؟

لم يسمع إجابة، كرَّر السؤال مرَّة ومرَّات حتَّى يأس من أن تجيب فطلب من الممرِّضة أن تحقنها بمهدِّئ.

- لا أنام أبدًا.

أخيرًا سمع صوتها مرتعشًا، يخرج منها بطيئًا، يتوارى خجلاً خلف شفتيها.

- لماذا لا تنامين؟

هبطت دموعها واستسلمت لنوبة بكاء قصيرة، ثمَّ قالت:

- كلما أغمضت عينيّ رأيت وجهي وقد ملأته التجاعيد كما لو كانت سراديب حُفرت فيه، وانطفأ لون عينيّ، وتهدَّلت أجفاني، وتساقط شعري، وانكسر ظهري.

صمتت لحظة، تبحث عن الكلمات التائهة منها.

- وصرت عجوزًا.. عجوزًا قبيحة.

نظر لها الطبيب والدهشة تملأ عينيه، وسألها:

- كم عمركِ الآن؟
- ثلاثون عامًا.

نظر لها وقد اتسعت حدقتاه، ثمَّ شطب من خانة العمر: تقريبًا في الستين.

بريق سين

سارت (س) تتخبط في الظلام، تحتضن حقيبتها بحذر، تضغط على المفتاح بين أصابعها، تحسَّست باب الغرفة وجدت الثقب بصعوبة، وضعت أصبعها عليه، وبسرعة وضعت المفتاح بالثقب وأدارته.

تعيش في الظلام، لا تستخدم الكهرباء، برغم أنَّها تدفع الفاتورة بانتظام. أنوار المصابيح الصفراء تخنق أنفاسها.

***

تعالى صراخ صاحبة المكان، جمعت كلَّ فتيات المحلّ، هددتهم بالطرد، اكتشفت خلال ثورتها اختفاء (س). ربَّما لم تأتِ اليوم..

***

(س) نظرة بريئة، وأعين حائرة تبتلع من ينظر إليها داخلهما؛ لذا بعد ساعات قليلة عملت في محلٍّ آخر، تجوَّلت في أرجاء المكان، عبثت يدها في كلِّ القطع المعروضة، وقطع أخرى معلقة.

استدعتها صاحبة المكان، طلبت منها أن ترتدي أحد فساتين الزفاف، أخبرتها أن جسدها مناسب كموديل! أوَّل مرة ترتديه، تعالت نبضاتها، خجلت أن تنظر في المرآة، اختلست نظرات قليلة، بريقه آلم عينيها، أصابتها حكَّة مؤلمة، تزايدت حتَّى لم تعد تتحكم في يدها وهي تقطع جسدها من أسفل الفستان؛

صرخت، نزعته من فوق جسدها، غادرت المكان بسرعة، لم تأخذ شيئًا هذه المرَّة.

***

تعمل (س) في مكان آخر منذ ساعات قليلة، تتجوَّل في المكان كعادتها لتكتشفه، تعبث يدها في كلِّ القطع المعروضة والمعلقة. اختبأت في المخزن منتظرة مغادرة الجميع، ثمَّ تسلَّلت ببطء، أخرجت البطارية الصغيرة من جيبها، وأخذت تبحث...

أين هو؟ ليس على التمثال كما كان طوال النهار. أصابها الرعب، الفساتين كثيرة لكنَّها لا تريد غيره، ابتسمت والتقطت أنفاسها حين رأته معلقًا هناك، أخرجت المقصَّ من حقيبتها واتجهت إليه.

***

دخلت (س) الغرفة، سارت في ظلامها، تشعر بالبريق داخلها، تبعته بحماس، أخرجت قطعتها المضيئة من لفافتها بحرص، ثبَّتتها في مكان فارغ على الحائط، وأضاءت المصباح، وقفت وسط الحجرة، الضوء في كلِّ مكان، اللون الأبيض يعلو كلَّ الحوائط، نورًا بلوريًّا شفافًا ينبعث من الجدران، الوهج يتلألأ في عينيها، اكتمل عملها الذي بدأته منذ سنين.

دارت.. ضحكت.. قفزت.. رقصت.. صرخت..

بعد أيَّام، انبعثت من الحجرة فراشات بيضاء ملأت السماء، وسقطت (س) عارية من الشرفة.

وجوه بلا مرايا

مرآة أولى:-

- لماذا تركت له جسدي؟

ردَّدت السؤال مرَّات عديدة، وهي تضرب رأسها بيديها، دفنت رأسها بين كفيها واستسلمت للبكاء، ظهرت أحداث اليوم السابق أمام عينيها...

اتصل بها هاتفيًّا، طلب منها أن تأتيه، ذهبت، جلسا معًا، مرَّ الوقت سريعًا في كلام عذب وحوار رقيق. اقترب منها، رفضت وحاولت إبعاده، ولكنَّه اقترب أكثر، تلذذت بقربه رويدًا رويدًا..

بكت أكثر، تمنَّت أن تتوقف هذه الأحداث عن الظهور أمام عينيها، يكفيها ما تعانيه من آلام مفاجئة، فقد اتصلت به في بيته لأول مرة..

نهرها بشدة وطلب منها عدم الاتصال به مرة أخرى.

***

مرآة ثانية:-

ذهبت إليه في اليوم التالي في مخبئهما الصغير حيث لا ترى العيون ساعات عشقهما المتقدة، طلب منها الزواج أكثر من مرّة كانت ترفض متعلِّلة بكثير من الأسباب.

في هذه المرَّة حاصرها، أعاد عليها الطلب، أخبرها أنَّه لم يقتنع بمبرراتها السابقة، أتعبها إلحاحه.

قالت له بصوت صارخ:

- أنا بكرهك، بكره حبِّي لك، وإحتياجى لوجودك، وخيانتك لها، بكـ.. تهدَّج صوتها : لكن مش قادرة أبعد..

لم تسمع منه إلا صوت إغلاق الباب.

***

مرآة أخرى:-

أتاها كعادته كلَّ مساء، أنهت عملها وذهبت إليه في ثوبها القصير الذي لا يخفى من جمالها إلا القليل، قبَّلته وتأبَّطت ذراعه، وذهبا إلى عشهما حيث رقصت له، وسقته من خمرها، فأغدق عليها الهدايا.

ثمَّ تركها في آخر الليل، فبصقت على الباب بعد أن أغلقه، ووقف هو وراء الباب يطمئن إلى هندامه، ولم يعد يذكرها حتَّى أتى المساء التالي.

تعريف بالكاتب:

كاتبة قصة ومقال، سبق لى النشر فى عدد من الجرائد الإلكترونية المختلفة:

الهدهد - أمواج - الواقع العربى - الجريدة - المحيط - كرموز - استراحة - كتب - اليوم الأول - أقلامنا.

وجريدة أون لاين الورقية، وجريدة زهرة التحرير الورقية.

شاركت كباحثة فى كتيب رصد الحياة الثقافية بالإسكندرية 2015، الصادر عن مكتبة الإسكندرية

حصلت على جائزة ساقية الصاوى للقصة القصيرة عام 2015 عن قصة: "ستارة الست حسنية" المركز الرابع.

حصلت على جائزة غسان كنفانى للقصة القصيرة عن عام 2015 عن قصة: "تجربة جسدية" المركز الثالث.

للتواصل: Heba_hf@yahoo.com

****

الفهرس

إهداء 5

صِرَاع 9

ربيع واحد وألف خريف 11

كم قميص ضيق 14

أنا وعين الكلمة 16

جسد 21

حجب 23

عينان وشفتان 26

حفارو الليل 28

ثقوب عمياء 30

جنتي الصغيرة 33

للقبح وجه آخر 36

استسلام 40

شمس لونها أخضر 42

موجات صامتة 49

موجات قديمة 49

موجات مسروقة 50

موجات رتيبة 50

موجات محبطة 51

موجات حالمة 52

موجات حديثة 54

وهن 55
نسيج قبلة 57
هل تكره طعم الثلج؟ 59
فقط عندما ينتهي العرض 63
تضاء من الخارج 65
رحلتا الصيف والشتاء 69
ميكي وذيله القصير 71
هلوسات جسد 77
متاهات البعد 83
لا مساس 87
فينوس تهبط من السماء 90
وعادت شهرزاد تحكي 98
غشاء حجري 100
كابوس المساء 102
بريق سين 104
وجوه بلا مرايا 106

قارئنا العزيز.. إيمانًا منا بأن المنظومة لن تكتمل إلا بك، فإن دورنا في ضاد هو نشر محتوى أدبي يليق بالأدب المصري والعربي ولأن رأيك دائمًا يهمنا، ننتظر منك التواصل معنا لتقيم أعمالنا عبر موقعنا الإلكتروني أو عبر صفحات مواقع التواصل الاجتماعي، من أجلك ومن أجل جيل جديد يستحق خدمات نشر أفضل.

مدير النشر: محمد حواس
نائب مدير النشر: ابتسام أبو سعدة
المشرف العام : محي الدين محمد – رجب امبابي
مسؤول العلاقات العامة والتوزيع : معجزة أحمد
دار ضـــاد ©
الدار .. دارك
www.daadpub.com
info@daadpub.com

daadpub
daadpublishing
daadpub
Daadpub